www.saaid.net/kutob

«هل المسيح رب؟»

دلالة العهد القديم، والعهد الجديد، والمنطق، والتاريخ،
على أن يسوع المسيح (عيسى ابن مريم)
بشرٌ رسولٌ من عند ربه وخالقه (الله)،
وأنه ليس ربا، ولا ابنَ الربِّ
ولا إلها، ولا ابنَ الإله

****

30 وقفة علمية ومنطقية،
للمثقفين والمثقفات (فقط)

****

تأليف

ماجد بن سليمان الرسي

جمادى الأولى، 1439 هجري

الموافق فبراير، 2018 ميلادي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة

- الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فكان الناس في فلسطين ينظرون للمسيح ابن مريم قبل أن يبدأ دعوته على أنه إنسانٌ مثلهم، ولما بدأ دعوته لقومه اليهود انقسموا إلى قسمين:

الأول: قومٌ صدَّقوه وآمنوا برسالته، وأنه نبي بشر مرسل من الله سبحانه وتعالى إليهم.

والقسم الثاني كذبوه ولم يؤمنوا به، واتهموه بأنه مدَّعٍ للنبوة.

وبعد رفع المسيح إلى السماء بسنوات قليلة جاء بولس، فادَّعى أن المسيح إله وأنه ابن الله، وأنه الرب وابن الرب، فنشأ **قسمٌ ثالث** يضاف إلى القسمين الآنف ذكرهما.

والجواب عن هذه المقولة (مقولة: إن المسيح إله وابن الإله، وأنه الرب وابن الرب) من ثلاثين وجها، إحدى عشر منها نقلية (أي منقولة من العهد القديم والجديد)، وستة عشر عقلية (أي معلومة بالعقل والمنطق والتفكير الصحيح)، واثنتان منها تاريخية (أي أن هناك شاهدان من التاريخ يدلان على أن هذه العقيدة من اختراع البشر، ليست من عند رب البشر وهو الله، ولم يعلم بها المسيح لما كان على الأرض)، والدليل الأخير الخاتمي هو الدليل القرآني على أن المسيح بشر رسول، ليس ربا ولا ابن الرب، ولا إلٰها ولا ابن الإلٰهِ.

وقد قسَّمت هذا البحث المبارك إلى خمسة فصول بحسب أنواع هذه الأدلة فقلتُ:

الفصل الأول: الأدلة النقلية

الفصل الثاني: الأدلة العقلية

الفصل الثالث: الأدلة التاريخية

الفصل الرابع: الأدلة القرآنية

الفصل الخامس: ملحق فيه فوائد عامة

***

والآن نبدأ بقراءة هذا البحث المبارك إن شاء الله، فإلى البحث.

الفصل الأول: الأدلة النقلية، وتتضمن الأدلة من العهد القديم والجديد على بطلان مقولة إن المسيح رب، وعدد هذه الأدلة إحدى عشرة

١. كيف يصح أن يقال إن المسيح هو الرب أو ابن الرب مع أنه لا توجد عبارة **واحدة صريحة** في أيٍّ من الأناجيل الأربعة ولا في الرسائل الثلاثة والعشرين الملحقة بها تنص على أن المسيح قال عن نفسه بعبارة صريحة إنه ابن الرب، أو الرب، أو إنه الله، أو ابن الله (بُـنُـوَّة نسب وولادة)، أو أنه جزء من الله، أو أن ذاته هي ذات الله، وأن فِعلَه فِعلُه، أو أن مشيئتَه مساويةٌ لمشيئة الرب، أو أنه خالقٌ، أو رازقٌ. (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

نعم، لو كان المسيح إلٰها وربا وخالقاً ورازقاً **لاستفاض** ذِكرُ ذلك في الأناجيل، لأنه أمر **متعلق بأصول العقيدة**، فلمَّا لم يدّع لنفسه شيئاً من ذلك فإنه لا يصح أن يوصف بهذا، فهو أدرى بنفسه من غيره.

والمتأمل في الأناجيل بِحِـيَادِية وإنصاف سيجد فيها كلاما عن المسيح يناقض وصفَه بالربوبية والألوهية تماما، فقد جاء فيها أنه عبدٌ لله، يصلي، وأنه لا مشيئة له مع مشيئة الله الذي أرسله، كما يجد المتأمل فيها أن المسيح أظهر في كلامه الضعف والعجز والخوف، وأنه عبدُ الله ورسوله، وليس ابن الله، أو الله، أو أن له شِركةٌ مع الله في شيء من صفاته.

***

٢. أضِف إلى ذلك أنه لا يوجد إثبات لهذه المقولة (مقولة إن المسيح هو الله أو ابن الله) لا في الكتب السابقة للإنجيل كالتوراة والزبور ولا في الكتاب الذي جاء بعد الإنجيل وهو (القرآن).
نعم أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة، فلَم تبشر التوراة ولا أي كتاب من السماء قط بأن الله سينزل بنفسه من فوق سبع سماواته ليكون بشراً يمشي في الأرض، ويخاطب الناس، ويدعوهم، ويأكل ويشرب معهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فضلاً عن أن يُهان ويُصفع على قفاه، ويُعلق على خشبة الصَّلب، ويُبصق في وجهه، تعالى الله أن يكون محلاً لهذه النقائص، وتعالى الله أن يُمَكِّـن أعداءه من رسوله ليُهينوا كرامته.

***

٣. بل على العكس من ذلك فقد ورد في العهدين القديم والجديد ما يزيد على ثلاثين نصا تدل بكل وضوح على أن المسيح له ذات، وأن الله له ذات أخرى، وأن ذات الله منفصلة عن ذات المسيح، مما يدل على أن المسيح ليس هو الله ولا ابن الله، ويدل أيضا على بطلان عقيدة التجسد وعقيدة التثليث، وهذا أوان الشروع في ذكر هذه النصوص الإنجيلية:

نصوص العهد القديم التي تقرر أن الله واحد في ذاته، وعددها خمسة وعشرون

١. (سفر التثنية ٦: ٤):
«اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيل: الرَّبُّ **إلـهُـنا رَبٌّ وَاحِد**».
وهذا النص مذكور في العهد الجديد في إنجيل مرقص (١٢/٢٩).

والشاهد من هذا النص هو أن المسيح لم يقل: (الرب هو المسيح)، أو: (أنا ربكم)، أو: (اعبدوني)، بل قال (**الرب إلٰهنا**)، فهو يتكلم عن ذاتٍ غير ذاته تماما، ويقرر أنه يعبد الله ويتخذه إلٰها، فبطلت بذلك مقولة إن المسيح هو الإلٰه، وأنه دعا إلى

عبادة نفسه أو عبادة أمه، حاشاه من ذلك، بل هو رسول كريم دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما فعل جميع إخوانه الرسل.

فهذا النص دليل على واضح على أن المسيح رسول دعا إلى عبادة الله وحده وترك عبادة من سواه.

٢. (حكمة سليمان ١٢:١٣):

«إذ **ليس إله إلا أنت** المعتني بالجميع».

٣. (الملوك الثاني ١٩/ ١٥ ، ١٩):

«وصلَّى حزقيا أمام الرب وقال: أيها الرب إله إسرائيل الجالس فوق الكروبيم. أنت هو **الإله وحدك** لكل ممالك الأرض. أنت صنعت السماء والأرض.

والآن أيها الرب **إلهنا**، خلِّصنا من يده[١]، فتعلم ممالك الأرض كلها إنك أنت الرب **الإله وحدك**».

وهو في (إشعياء ٣٧: ١٦، ٢٠)

٤. (إشعياء ٤٣: ١١):

«**أنا أنا الرب**، وليس غيري مُخَلِّص».

٥. (إشعياء ٤٤: ٦، ٨):

«هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه، رب الجنود: أنا الأول وأنا الآخِر ولا **إله غيري** ... لا ترتعبوا ولا ترتاعوا. أما أعلَمتُك منذ القديم وأخبرتك؟ فأنتم شهودي. هل يوجد **إله غيري** ولا صخرة لا أعلم بها؟»

٦. (إشعياء ٤٦:٩):

«اذكروا الأُوليات منذ القديم، لأني أنا الله **وليس آخَر، الإله وليس مثلي**».

٧. (إشعياء ٤٢:٨):

«أنا الرب هذا اسمي، **ومجدي لا أعطيه لآخر**، ولا تسبيحي للمنحوتات».

٨. وفي (إشعياء ٤٥: ٢١-٢٢) يقول الرب:

«أليس أنا الرب **ولا إله آخَـر غيري**، إله بار ومُخَلِّص **ليس سواي**. **التفتوا إلي وأخلِصوا** يا جميع أقاصي الأرض، لأني أنا **الله وليس آخَر**».

قوله (التفِـتوا إليَّ وأخلِصوا) أي توجهوا إلي في عبادتكم واجعلوها خالصة لي، ولا تعبدوا غيري.

٩. وفي (إشعياء ٤٥ : ٥ – ٦) يقول الرب:

«أنا الرب **وليس آخر. لا إله سواي**. نطقتك وأنت لم تعرفني. لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن **ليس غيري**. أنا **الرب وليس آخَر**».

---

[١] يعني مَلِـك أشور.

١٠. (إشعياء ٦٤: ٤):

«لم تر عينٌ **إلٰها غيرك** يصنع لمن ينتظره».

١١. (إشعياء ٢٦: ١٣):

«أيها **الرب إلٰهنا**، قد استولى علينا سادَةٌ سواك، بك **وحدك** نذكر اسمك».

١٢. (إشعياء ٤٥: ١٤):

«ولك يسجدون، إليك يتضرعون قائلين فيك **وحدك: الله وليس آخَر**».

١٣. (ملاخي ٢: ١٠):

«أليس أب **واحد** لكلنا؟ أليس **إله واحد** خلقنا؟»

١٤. (سيراخ ١: ٨):

«**واحدٌ** هو حكيم، عظيم المهابة، جالس على عرشه».

١٥. وفي (أخبار الأيام الثاني ٦: ١٩) أن النبي سليمان قال وهو يناجي ربه:

«فالتفِت إلى صلاة عبدك وإلى تضرعه أيها **الرب إلٰهي**، واسمع الصراخ والصلاة التي يصليها عبدك أمامك».

١٦. (نحميا ٩: ٦):

«أنت هو **الرب وحدك**، أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها، والأرض وكل ما عليها، والبحار وكل ما فيها، وأنت تحييها كلها، **وجندُ السماء لك يسجد**».

١٧. (سفر يشوع ابن سيراخ ٣٦: ٢):

«وألق رعبك على جميع الأمم الذين لم يلتمسوك، ليعلموا أنه **لا إله إلا أنت**، ويخبروا بعظائمك».

١٨. (مزمور ٨٦: ٨-١٠):

«لا مِثل لك بين الآلهة يا رب، ولا مثل أعمالك. كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب، ويمجدون اسمك، لأنك عظيم أنت وصانع عجائب، **أنت الله وحدك**».

١٩. (دانيال بالتتمة ٣: ٤٥):

«وليعلموا أنك أنت **الرب الإلٰه وحدك** المجيد في كل المسكونة».

٢٠. (الملوك الأول ٨: ٦٠):

«لِيعلم كل شعوب الأرض أن **الرب هو الله وليس آخَـر**».

٢١. (صموئيل الأول ٢: ٢):

«ليس قدوس مثل الرب لأنه **ليس غيرك**، وليس صخرة مثل إلٰهنا».

أي ليست الصخور والتماثيل المنحوتة على أشكال المخلوقين مثل الرب، فالرب هو الخالق والصخور مخلوقة، فعبادتها باطلة.

٢٢. (صموئيل الثاني ٧: ٢٢):

«لذلك قد عظُمت أيها **الرب الإله**، لأنه ليس مثلك وليس **إله غيرك** حسب كل ما سمعناه بآذاننا».

٢٣. (أستير بالتتمة ١٤: ١٩):

«الإله القدير على الجميع، فاستجِب لأصوات الذين **ليس لهم رجاء غيرك**، ونجِّنا من أيدي الأُمَماء، وأنقذني من مخافتي».

٢٤. (مزمور ١٦: ٢):

«قلت للرب:**أنت سيدي**، خَيْرِي، **لا شيء غيرك**».

٢٥. وفي (سفر دانيال بالتتمة ١٤:٤٠):

«فهتف بصوت عال وقال: عظيم **أنت أيها الرب**، إله دانيال **ولا إله غيرك**».

نصوص العهد الجديد التي تقرر أن الله واحد في ذاته، وعددها عشرة

١. في إنجيل يوحنا (١٧/٢٠) قال المسيح لامرأة: «اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم و**إلهي وإلهكم**».

فدل قول المسيح (**إلهي وإلهكم**) على اعترافه بأن الله هو **إلهه وإلهِ الناس كلهم**، وأن المسيح نفسه ليس إلها ولا ربا، بل هو عبدٌ لله كسائر البشر، لأن إلـهَهُ هو إلهُ قومه الذين خاطبهم، وهو الله، ولو كان المسيح هو الله لما كان لهذه الجملة معنى (إني أصعد إلى ... **إلهي**)، فإلى من سيصعد المسيح طالما أنه هو الله ذاته؟!

ومن اللطيف ذكره في هذا المقام أن القرآن (دستور دين الإسلام) ذكر اعتراف المسيح بأن الله هو ربه ورب الناس كلهم في أربع مواطن، وهي:

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ **اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[١].

وقال الله في القرآن عن المسيح أنه قال لقومه ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن **اعبدوا الله ربي وربكم**﴾[٢].

وقال الله في القرآن عن المسيح أنه قال لقومه ﴿إن **الله ربي وربكم** فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[٣].

وفي سورة مريم أنه قال لقومه ﴿**وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم**﴾[٤].

---

[١] سورة المائدة: ٧٢.

[٢] سورة المائدة: ١١٧.

[٣] سورة مريم: ٣٦.

[٤] سورة آل عمران: ٥١.

وقال الله في القرآن عن المسيح أنه قال لقومه ﴿إن **الله هو ربي وربكم** فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[1].

فالحاصل أن الأناجيل تثبت أن المسيح كان يُقِرُّ لله بأنه ربه ورب الناس كلهم، وكذلك القرآن، بخلاف الاعتقاد السائد بين المسيحيين بأن المسيح هو نفسه الرب وابن الرب.

تنبيه هام

من المعلوم أن معنى الأب في المصادر الإنجيلية هو المربي، وليس معناه أُبُوَّة النسب المعروفة، يدل لهذا أن المسيح وصَف الرب بأنه أبو جميع الناس في قوله (أصعد إلى أبي وأبيكم)، ولا أحد يقول إن الله هو أبُ الناس كلهم بمعنى أُبُوَّة النسب المعروفة، بل الصحيح أن معنى الأب هنا أي المربي والمُعتني، لأن الله هو الخالق الرازق المدبر لشئون الناس كلهم.

٢. وفي يوحنا (١٤:٢٨) قال المسيح: «**لأنَّ أبي أعظم مني**».

فلو كان الله والمسيح متساويين ولهما ذات واحدة فكيف يكون الله أعظم منه؟
هذا تناقض ظاهر.

فدل هذا على أن ذات الله ليست هي ذات المسيح، بل لكل منهما ذات مختلفة، والله فوق سماواته على عرشه سبحانه وتعالى، لا يمتزج بخلقه ولا يخالطهم، هم في الأرض، وهو فوق السماء السابعة على عرشه.

٣. (يوحنا ١٧: ٣):
«وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت **الإله الحقيقي وحدك**، ويسوع المسيح الذي أرسلته».

٤. (مرقص ١٢: ٢٩، ٣٢):
«فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، **الرب إلهنا رب واحد**...
فقال له الكاتب: جيدا يا معلم، بالحق قلت، **لأنه الله واحد، وليس آخر سواه**».

٥. (لوقا ١٨: ١٩):
«فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا **واحدٌ وهو الله**».

٦. (يوحنا ٥: ٤٤):
«كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض، والمجد الذي من **الإله الواحد** لستم تطلبونه؟!»

٧. (متى ٤: ١٠):
«حينئذ قال له يسوع: اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب: **للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد**».

تنبيه: هذا متوافق مع الآية التي في سورة الفاتحة التي في القرآن العظيم ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

---

[1] سورة الزخرف: ٦٤.

٨. (مرقص ٢: ٧):

«لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف؟ من يقدر أن يغفر خطايا إلا **الله وحده**؟»

٩. (الرؤيا ١٥: ٤):

«من لا يخافك يا رب ويمجد اسمك؟ لأنك **وحدك** قدوس، لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك، لأن أحكامك قد أُظهِرت».

١٠. وفي (مرقص ١٠ : ١٧– ١٨) ما يدل على أن ذات الله ليست ذات المسيح، فإنه لما ناداه رجل فقال له (يا صالح) أجاب المسيح فقال:

«لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحدٌ صالحا **إلا واحد وهو الله**».

***

٤. الدليل الرابع على بطلان مقولة إن المسيح إله ورب هو أنه قد ورد عن المسيح نفسه ما يثبت **أنه إنسان، ومن أصل بشري:**

- فقد ورد في إنجيل لوقا في الإصحاح التاسع، عدد ٥٦، قول المسيح عن نفسه:

«لأن ابن **الإنسان** لم يأت ليهلك أنفس الناس».

فهذا النص صريح في أن المسيح ليس ابن الله وإنما ابن الإنسان، وهو الجنس البشري.

- وفي إنجيل يوحنا (٨-٢٨) قال المسيح:

«فقال لهم يسوع: متى رفعتم **ابن الإنسان**، ... **ولست أفعل شيئا من نفسي**».

ألا يدل هذا على أن المسيح بشر؟

لو كان المسيح ربا لما وصف نفسه بالبشرية في قوله (ابن الإنسان)، ولما قال (لست أفعل شيئا من نفسي)، لأن رب الكون يفعل كل شيء، ويدبر أمر الكون كله، وبناء عليه فلا يمكن عقلا أن يقول المسيح (لست أفعل شيئا من نفسي) وهو رب الكون في نفس الوقت.

- وفي إنجيل متى (٣٤/١) قال يسوع عن نفسه للجموع: «جاء **ابن الإنسان** يأكل ويشرب».

- كما قال المسيح لمن أراد قتله: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني. وأنا **إنسان** قد كلَّمكم بالحق الذي سمِعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم». يوحنا (٨/ ٤٠).

- بل لما قيل لعيسى عليه السلام (أنت ابن الله) كان خاتمة جوابه أنه ابن **الإنسان**. انظر إنجيل يوحنا (١/ ٤٩-٥١).

- وفي الأناجيل إشارات أخرى لبشرية المسيح، انظر: لوقا (١٧/ ٢٢) (١٨/ ٨)، متى (١٢/ ٣٢).

فوصْفُ المسيح - عليه السلام - لنفسه بشكل متكرر وصريح بأنه **إنسان** دليل واضح وصريح على أنه **بشر**، ولا يمكن أن يصدر ممن يقول هذا الكلام أو يقوم في نفسه مجرد ظن بأنه هو الله أو ابنه، أو أنه نزل إلى الأرض ليدعو الناس إلى عبادة نفسه، وإلا كان شخصا يحاول اللعب بعقول الآخرين، وحاشا المسيح أن يكون كذلك.

فتبين من هذه النصوص بطلان مقولة إن المسيح ربٌّ وإلهٌ، بل الحق الثابت في الأناجيل أنه بشرٌ رسول.

***

٥. الدليل الخامس على بشرية المسيح هو أنه قد جاء في الأناجيل والرسائل الملحقة بها أن المسيح يتحلى بصفات البشر، منها أنه لا يعلم أمورا، وجاء فيها أنه يجهل أمورا، وأنه ينسى ، وجاء فيها أنه تَعِب، وأنه يشتهي الأكل، وأنه عطشان، وأنه يحزن ويكتئب ويتألم، وأنه ينام، وأنه يخاف ويبكي، وأنه يصلي، وهذه بعض النصوص الإنجيلية التي تثبت ذلك:

ما جاء في يوحنا (١٩/٢٨): «قال يسوع: أنا **عطشان**».

وفي إنجيل متّى (٨/٢٤): «وكان هو **نائماً**».

وفي إنجيل يوحنا (٤/٦): «فإذا كان يسوع قد **تعب** من السفر جلس هكذا على البئر».

وفي إنجيل مرقص (١٤/٣٢-٣٥) أنه يصلي ويحزن ويُدهش ويكتئب:

«وجاءوا إلى ضيعة اسمها جثسيماني، فقال لتلاميذه: اجلسوا هٰهنا حتى **أصلي**.

ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا، وابتدأ **يدهش ويكتئب**.

فقال لهم: نفسي **حزينة** جدا حتى الموت امكثوا هنا واسهروا.

ثم تقدم قليلا وخرَّ على الأرض، وكان **يصلي** لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن».

من المناسب هنا أن يسأل القارئ نفسه سؤالا منطقيا جدا: لمن كان المسيح يصلي؟ هل كان يصلي لنفسه؟ أن أنه كان يصلي لذات أخرى (الله)؟

وفي إنجيل يوحنا (١١/٣٥): «**بكى** يسوع».

وفي إنجيل لوقا (٢٢/١٤-١٥): «ولما كانت الساعة **اتكَأَ** والاثنا عشر رسولا معه.

وقال لهم: شهوة **اشتهيت** أن **آكل** هذا الفُصح معكم قبل أن **أتألم**».

ليس هذا فحسب، بل إن يسوع كان **يخاف** من اليهود أن يقتلوه، كما في إنجيل يوحنا (١١/٥٣-٥٧):

«فمن ذلك اليوم تشاوروا **ليقتلوه**.

فلم يكن يسوع أيضا يمشي بين اليهود **علانية**، بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية، إلى مدينة يقال لها أفرايم، ومكث هناك مع تلاميذه.

وكان فُصح اليهود قريبا. فصعد كثيرون من الكور إلى أورشليم قبل الفُصح ليطهروا أنفسهم.

فكانوا يطلبون يسوع ويقولون فيما بينهم، وهم واقفون في الهيكل: ماذا تظنون؟ هل هو لا يأتي إلى العيد.

وكان أيضا رؤساء الكهنة والفريسيون[١] قد أصدروا أمرا أنه إن عرف أحد أين هو فليدل عليه، لكي **يُمسكوه**».

والتعليق على هذا كله:

[١] الفريسيون هم طائفة من غلاة اليهود المتعصبين والمتشددين بالمظاهر الخارجية للورع والتدين، ومنها التقيد بحرفية الشريعة أو الناموس مثل الامتناع عن أداء أي عمل يوم السبت، أو مخالطة غير اليهود، إذ يُعتبرون نجِسين، وقد آذوا المسيح عليه السلام. نقلا من «تاريخ النصرانية، مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، ص ٥٩، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع، ط ١.

- هل يمكن أن يكون من هذه صفاته أن يكون هو الرب الذي خلق السماوات والأرض؟!

هل يُعقل أن يكون المسيح إلها وربا مع كونه يعطش وينام ويتعب ويُدهش ويكتئب ويبكي ويتكئ ويشتهي الأكل ويتألم (ويخاف)؟!

ما الفرق بينه وبين البشر إذن؟!

إن الله غني وقوي وخالق، وكامل في صفاته، وعليه فليس من المعقول أن يخلق شيئا (من طعام وشراب) ثم يحتاج إليه، أو أن يكون بحاجة إلى شيء ليساعده على الوجود، لأنه إذا كان محتاجا إلى غيره فهو ليس ربا في الحقيقة، قال الله في القرآن واصفا نفسه، ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزقٍ وما أريد أن يُطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾.

بينما كان المسيح يأكل الطعام ويشرب الشراب، والمحتاج إلى غيره لا يكون إلها ولا ربا.

- ثم إن مقتضى تَحَلِّي المسيح بهذه الصفات (كونه يأكل ويشرب وينام ويتنفس ونحو ذلك) أنه إذا لم تتوفر له فإنه سيموت، لأنه محتاج لهذه الأمور كضروريات للبقاء على قيد الحياة، والموت لا ينطبق على الرب، لأن الرب حي لا يموت، بل ينطبق على الجنس البشري الذي منه المسيح.
- كذلك فإن الذي يأكل الطعام فإنه يحصل منه خروج الفضلات القذرة التي يستحيي الإنسان العادي من ذكرها لِما فيها من مُركَّب النقص والقذارة، وهذا هو الحاصل مع المسيح، فكيف يليق بالمسيح أن يكون ربا وفيه هذا النقص العظيم الذي يستحي من ذِكرِه البشر ويستقذرون وجوده؟

هذا كله يدل قطعا على بطلان وصف المسيح بالألوهية والربوبية.

- كذلك فلا يليق بمن تقلَّب جنينا في أحشاء أمه وخرج من مخرج البول ثم لفَّته أمه في خرقة أن يكون إلها ولا ربا، هذا قول لا يصح بالعقل، وإلا فما الفرق بينه وبين أطفال البشر إذن؟

إن مريم العذراء حملت المسيح حملا طبيعيا بشريا في بطنها تسعة أشهر، وتقلب المسيح في أحشائها، ثم ولدته ولادة طبيعية بشرية، فخرج من مخرج البول كسائر الأطفال.

- ومن الأدلة على أن المسيح يتصف بصفات البشر ما جاء في إنجيل مرقص، الإصحاح الحادي عشر (١١-١٤):

«فدخل يسوع أورشليم والهيكل، ولما نظر حوله إلى كل شيء إذ كان الوقت قد أمسى خرج إلى بيت عنيا مع الاثني عشر.

وفي الغد لما خرجوا من بيت عنيا **جاع**.

فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء **لعله يجد فيها شيئا**، فلما جاء إليها **لم يجد شيئا** إلا ورقا لأنه **لم يكن وقت التين**.

فأجاب يسوع وقال لها: (لا يأكل أحد منك ثمرا بعدُ إلى الأبد)، وكان تلاميذه يسمعون».

التعليق:

في هذه القصة أن يسوع جاع، وأنه ظن أن شجرة التين قد أثمرت، فلما جاءها لم يجد شيئا، أي أنه لم يتبين له قبل وصوله إلى الشجرة هل كانت مثمرة بالتين أم لا، وأنه لم يكن يعلم أن الموسم لم يكن موسم التين، فذهب للشجرة والموسم ليس موسم التين، في حين أنه كان ينبغي أن يكون عالما بالموسم لأنه هو خالق المواسم كلها – لو كان ربا فعلا –، وفي القصة أنه دعا على شجرة التين بأن لا تثمر ولا ينتفع منها أحد.

وفيها أنه غضب على الشجرة فأمرها بأن لا تثمر فانحرم الناس من ثمارها.

هل من المعقول أن يكون المسيح ربا ويفعل كل هذا؟

لماذا لم يأمر المسيح الشجرة (لو كان ربا فعلا) أن تُثمر وتنتهي المشكلة؟ هذا هو اللائق به لو كان ربا فعلا.

***

٦. ومن دلائل بطلان مقولة إن المسيح ربٌّ أو ابن الربِّ أن الكتاب المقدس عند المسيحيين يقول كما في يوحنا (١:١٨): «**الله لم يره أحد قط**».

وقال كما في يوحنا (٥:٣٧): «والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي. **لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته**».

قالها المسيح وهو واقف أمامهم، فدل هذا بوضوح على أن المسيح ليس هو الله، ولو كان المسيح هو الله (تعالى الله عن ذلك) لما قال لهم ذلك، بل لقال لهم: إنكم ترون الله أمامكم، إنه أنا، انظروا إلي.
وهذا الدليل واضح جدا.

وفي أعمال الرسل (١:١٧): «ومَلِكُ الدهور الذي لا يفنى **ولا يُرى**، الإله الحكيم **وحده**، له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور».

إذن فالإله الحقيقي الذي له المجد لا يُرى، وليس هو المسيح ابن مريم بالتأكيد، لأنه رآه الناس ولمسوه بأيديهم.

***

٧. الدليل السابع على بطلان مقولة إن المسيح إله ورب أنه ورد في المصادر الإنجيلية عن المسيح نفسه أنه **رسول**، فلو كان المسيح ربا وإلها لما استقام أن يكون رسولا أيضا، رسولا من عند من إذَن؟!

وقد كان المسيح دائماً يذكر تلاميذه أنه رسول الله إليهم، وأنه **مُعَـلِّم**، وأن الله هو الإله وحده، وأنه ليس إلا مجرد رسول إلى بني إسرائيل، لِيُعَلِّم الناس أمور دينهم، وسنذكر هنا **سبعة عشر دليلا** على ذلك من الأناجيل المعتبرة عند المسيحيين:

١. في إنجيل متى (٤/٢٣): «وكان يسوع يتنقل في منطقة الجليل كلها، **يُعَلِّم** في مجامع اليهود، وينادي ببشارة الملكوت».

٢. وجاء في إنجيل متى (٤/١٧): «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع **يُكَرِّز** ويقول: **توبوا** لأنه قد اقترب ملكوت السماوات».

ومعنى (يُكَرِّز) أي يُبشر.

وقول يسوع (توبوا) دليل على أنه رسول، يحث الناس على التوبة من فعل المعاصي.

٣. وجاء في إنجيل متى (٦/٨ – ١٠) أن يسوع قال لتلاميذه:

«لأن أباكم يَعلَم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه.
فصلُّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، لِيَأتِ ملكوتك.
لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض».

في هذا النص فائدة أن اليسوع **عَلَّم** تلاميذه كيفية الصلاة، فهو إذن نبي، لأن وظيفة الأنبياء هي التعليم، وهو الشاهد.

وفي هذا النص فائدة أن يسوع يتكلم لتلاميذه عن الله، ولو أن اليسوع هو الله لما قال لهم (لأن **أباكم** يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن **تسألوه**)، بل لقال (لأني **أنا** أعلم ما تحتاجون إليه قبل أن **تسألونني**).

وفي هذا النص فائدة أن الله في السماء، لقوله (أبانا الذي في السماوات)، فدل على أن الله له ذات، وهي في السماء، والمسيح له ذات أخرى في الأرض.

وفي هذا النص فائدة أن الأب بمعنى المربي والقائم على الشيء، وليست بمعنى الأب من جهة النسب، لأنه لو كانت كلمة الأب تعني الأب من جهة النسب لكان الله أب الناس كلهم، لأنه قال (أبانا) ولم يقل (أبي).
وهذا فيه رد على من قال بأن أُبُوَّةُ الله للمسيح هي أُبُوَّةُ نسب، وأنها تقابل أمومة مريم للمسيح، فهذا غلط عظيم، فإن الأبوة هنا تعني التربية والقيام على رعاية الشخص، وبناء عليه فإن الله هو أبو الناس كلهم بهذا المعنى.[١]

٤. وجاء في إنجيل مرقص (١/١٤، ١٥) نصٌّ واضح في أن يسوع **نبيٌّ** بشَّر بالإنجيل وعلَّم الناس الخير وهو:

«وبعدما أُلقِي القبض على يوحنا، انطلق يسوع إلى منطقة الجليل **يبشر بإنجيل الله** قائلا:
قد اقترب الزمان، واقترب ملكوت **الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل**».

---

١ سيأتي توضيح مفصل لمعنى كلمة (ابن الله) الواردة في الأناجيل، وذلك في ملحق «فائدة في معنى كلمة (ابن الله) الواردة في بعض الأناجيل».

فهذا النص فيه فائدة أن المسيح نبي، لأنه كان يبشر بإنجيل الله، ويأمر الناس بالتوبة إلى الله، وهذه وظيفة الأنبياء، ويأمرهم بالإيمان بالإنجيل.

وفي هذا النص فائدة أن ذات الله ليست هي ذات يسوع، لأنه قال (واقترب ملكوت الله)، ولو كان الله هو اليسوع لقال (واقترب ملكوتي).

ثم إن يسوع أمر تلاميذه بالإيمان بإنجيل الله، أي كتابه، ولو أن اليسوع هو الله لقال لهم (فتوبوا وآمنوا بإنجيلي).

وفي هذا النص فائدة أن إنجيل الله ليس أحد الأناجيل الأربعة المعروفة (يوحنا، لوقا، مرقص، متى)، لأن يسوع سماه (إنجيل الله)، بينما الأناجيل الأربعة المعروفة تسمى بأسماء مؤلفيها الذي كتبوها بأيديهم.

٥. وجاء في إنجيل لوقا (٤/٣١-٣٢، ٤٣-٤٤) نصٌّ **واضحٌ جدا** عن اليسوع أنه رسول، وهو:

«وانحدر إلى كفر ناحوم، مدينة من الجليل، وكان **يُعلمهم** في السُّبوت (أي أيام السبت)، فبُهتوا من **تعليمه**، لأن كلامه كان بسلطان».

ثم قال للجموع الذين طلبوا منه البقاء معهم: «إنه ينبغي لي أن **أُبَشِّر** المدن الأُخَر بملكوت الله، لأني لهذا قد **أُرسِلت**. فكان **يُكَرِّز** في مجامع الجليل».

فقوله (أُرسِلت) تدل على أنه رسول، وكذلك قوله (أُبَشِّر)، وكذلك قول مَتَّى (يُكَرِّز)، كلها تدل على أنه رسول من الله، يعلم الناس الإنجيل.

٦. وفي (إنجيل لوقا ٧/١١-١٧) أن يسوع ذهب إلى مدينة اسمها نايين، يرافقه كثيرون من تلاميذه وجمعٌ عظيم، وفي نهاية القصة قال أهل المدينة: «قد قام فينا **نبي عظيم**، وتفقد الله شعبه»، وذاع هذا الخبر عنه في كل المناطق اليهودية، وفي جميع النواحي المجاورة.

ففي هذا النص دلالة صريحة على أن المسيح **نبي عظيم**، وليس ربا ولا ابن الرب.

٧. وهذا نص صريح آخر على أن المسيح رسول، ففي إنجيل يوحنا (١٧/٣) أن المسيح دعا ربه فقال: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، **ويسوع المسيح الذي أرسلته**».

٨. وفي إنجيل مَتَّى (٢١/١٠-١١) شهادةٌ من جموع بني إسرائيل للمسيح بأنه نبي:

«ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة: من هذا؟

فقالت الجموع: هذا **يسوع النبي** الذي من ناصرة الجليل».

فأيُّ دليل على نبوة المسيح أصرح من هذا؟

٩. وقال يسوع لتلاميذه كما جاء في إنجيل متى (٥/١١-١٢) وهو يُسليهم ويصبرهم على الأذى الذي جاءهم من اليهود:

«طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة، من أجلي، كاذبين.

افرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم في السماوات، فإنهم هكذا طردوا **الأنبياء** الذين قبلكم».

فقوله: «افرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم في السماوات» دليل على أن المكافئ والمجازي هو الله، وليس المسيح، وأن الجزاء لا يكون إلا عند الله يوم القيامة، ولو كان المسيح هو الله لقال لهم: "سأكافئكم **أنا** وأجازيكم من **عندي**".

وقوله: (فإنهم هكذا طردوا **الأنبياء** قبلكم)، يعني بهذا اليهود، فإنهم اضطهدوا الأنبياء قبله، وقوله (الأنبياء) دليل على أنه نبي من جملة هؤلاء الأنبياء الذين تعرضوا للاضطهاد، وإلا فسيكون كلامه ليس له معنى، وحاشاه من ذلك.

وفي هذا دليل على أن المسيح ليس ابنا لله ولا هو الله، بل بشر مثلنا، لأنه لو كان كذلك فلن يتعرض للاضطهاد، ومن يقوى على اضطهاد الرب الذي خلق كل شيء، وهو أقوى من كل شيء؟

قال «جوستاف لوبون»[1] في كتابه «حياة الحقائق»، ص ٢٠:

«كان يسوع معتقدا أنه نبي، خلَفٌ لمن ظهر قبله من الأنبياء».

١٠. وقال المسيح كما في إنجيل متّى (٥/١٧-١٩):

«لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. **ما جئت لأنقض بل لأكمل**.
فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.
فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلَّم الناس هكذا، يدعى أصغر في ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلَّم، فهذا يدعى عظيما في ملكوت السماوات».

فقول المسيح: (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل) دليل واضح على أنه رسولٌ قد خلت من قبله الرسل، وأنه واحد منهم، لأن من جاء لِيُكَمِّل ويُتَمِّم الشريعة التي سبقته – وهي التوراة، شريعة موسى – ويُكمل ما بناه موسى ومن سبقه من الأنبياء قبله فإنه لا يكون إلا نبيا مثلهم، وقد جاء تصديق ذلك في القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى عن المسيح – عليه السلام – أنه قال لقومه: ﴿ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون * إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[2].

فالمسيح – عليه السلام – لم يكن إلا نبياً رسولاً، أرسله الله للعمل بشريعة موسى – عليه السلام – ، وتحليل بعض ما حرم الله على بني إسرائيل، ودعوة بني إسرائيل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتجديد ما اندَثر من دينهم، ولِيبعث فيهم جذوة الإيمان التي انطفأت بظلمهم وعتوهم، وتحريفهم لكلام الله سبحانه وتعالى.

---

[1] جوستاف لوبون (١٨٤١ – ١٩٣١م)، طبيب ومؤرخ فرنسي، عُنِيَ بالحضارة الشرقية. من أشهر كتبه «حضارة العرب»، و «حضارات الهند» و «الحضارة المصرية» و «حضارة العرب في الأندلس» و «سر تقدم الأمم». هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتَدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. عُرف بأنه أحد أشهر فلاسفة الغرب الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية، فلم يَسِر على نهج مؤرخي أوروبا الذين صار من تقاليدهم إنكار فضل الإسلام على العالم الغربي .لكن لوبون الذي ارتحل في العالم الإسلامي وله فيه مباحث اجتماعية، أقرَّ أن المسلمين هم مَن مدَّنوا أوروبا، فرأى أن يُبعث عصر العرب الذهبي من مرقده، وأن يُبديه للعالم في صورته الحقيقية؛ فألف عام ١٨٨٤م كتاب «حضارة العرب» جامعًا لعناصر الحضارة العربية وتأثيرها في العالم، وبحث في أسباب عظمتها وانحطاطها، وقدَّمها للعالم تقديم المَدِين الذي يدين بالفضل للدائن. توفي جوستاف بفرنسا عام ١٩٣١م. المصدر: wikipedia

[2] سورة آل عمران: ٥٠ – ٥١.

فلا شك أنه – عليه السلام – ليس إلا حلقة في سلسلة الأنبياء والمرسلين – عليهم السلام – وليس رباً وإلهاً كما يعتقد المسيحيون.

١١. وقال يسوع كما في يوحنا (٣٧:٥): «والآب نفسه الذي **أرسلني** يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته».

فهذا النص صريح في أن المسيح رسول، لقوله (أرسلني).

١٢. وفي إنجيل يوحنا (٣١/٨، ٣٩-٤٠، ٤٢) وفي معرِض جدال المسيح لليهود الذي آمن بعضهم به وكفر بعضهم، قال المسيح – عليه السلام –:

«إنكم إن ثبتُّم في كلمتي فبالحقيقة تكونون **تلاميذي**، وتعرفون الحق والحق يحرركم».
ثم قال: «لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، **وأنا إنسان** قد كلمكم بالحق الذي **سمعه من الله**».
ثم قال لهم: «لأني لم آت من نفسي، بل **ذاك أرسلني**».

ففي هذا النص وحدَهُ ثلاثة أدلة على أن المسيح رسول بشري من عند الله وليس إلٰها:
الأول: قوله (**تلاميذي**)، وهذا لا ينطبق على المسيح إلا إذا كان رسولا وليس ربا.
والثاني: قوله (أنا **إنسان** قد كلمكم بالحق الذي **سمعته من الله**)، فهذا نص واضح في أن المسيح بشر مُرسل من عند الله.
والثالث قوله (**ذاك أرسلني**) واضح في أن المسيح ليس هو الله، بل الله أرسل المسيح، والمسيح هو الرسول، وإلا سيكون كلامه ليس له معنى.
فهذه النصوص الإنجيلية واضحة وصريحة في أن المسيح ليس هو الله ولا ابنُ لله، بل هو بشر خلقه الله، ورسول من عند الله، هذا الذي يُمْليه المنطق والعقل والفهم الصحيح، ولا تحتاج هذه النصوص إلى عالم أو متخصص باللاهوت لكي يشرحها، بل الطفل والشخص العادي يستطيع فهمها بسهولة.

١٣. وقد جاء تقرير أن الله أرسل المسيح رسولا ومُعَلِّما في إنجيل يوحنا (١/٣-٢):

«كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس، رئيس لليهود.
هذا جاء إلى يسوع ليلا وقال له: **يا مُعَـلِّم، نعلم أنك قد أتيت من الله مُعَـلِّما**، لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه».

فقول رئيس اليهود للمسيح: (**يا مُعَـلِّم، نعلم أنك قد أتيت من الله مُعَـلِّما**)، هذا تقرير أن المسيح أرسله الله إلى اليهود **رسولا ومعلما**، لأن الرسول يُعلِّم الناس الذين أرسل إليهم ما أرسله الله به من العلم، ومن المعلوم أن المسيح قد علَّم الناس الإنجيل، ودلهم على الخير، وحذرهم من الشر.
ولم يقل رئيس اليهود للمسيح إنه جاء فاديا، أو مُخَلِّصا، أو إنه ابن الله، أو إنه هو الله، ولا غير ذلك من الأقوال السائدة بين جماهير المسيحيين.

والمسيح أَقَرَّ هذا اليهودي على كلامه، ولم يقل له إنك مخطئ في كلامك، ولو كان هذا اليهودي مخطئ في كلامه لاعترض عليه المسيح وصحح كلامه، لأن هذه وظيفته كَمُعَلِّم، وهي أن يُقِرَّه على الصواب، ويصلح له الخطأ، وإلا لم يكن معلما على الحقيقة.

وهنا فائدة لطيفة في قول رئيس اليهود للمسيح (**ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه**)، وهي أن في هذا دليل على أن الله أيَّد المسيح بمعجزات دالة على نبوته، لأن البشر لا يستطيعون أن يأتوا بها، ومِن ذلك أنه كان يحيي الموتى، ويَشفي الأبرص والأكْمه (أي الذي وُلِد أعمى)، ويُنَبِّئ الناس بما يأكلون وما يدَّخرون في بيوتهم من الطعام، وكل هذا بإذن الله، وليس للمسيح فيه قدرة مستقلة وعلم مستقل، لأن المسيح بشر، لا أكثر ولا أقل.

١٤. ومن الأدلة الإنجيلية على أن المسيح رسولٌ من عند ربه ما جاء في يوحنا (٧/١٥-١٨) أن المسيح ذهب لجموع اليهود يريد أن يعلمهم فحصل التالي:

«فتعجب اليهود قائلين: كيف هذا يعرف الكتب، وهو لم يتعلم؟
أجابهم يسوع وقال: **تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني**.
إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم، هل هو من الله، أم أتكلم أنا من نفسي.
من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه، وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم».

فاليهود انبهروا من حسن التعاليم التي كان المسيح يبثها بين الناس، وتعجبوا منها، فبين لهم المسيح أنها من الله الذي أرسله، فهو تلقاها منه عن طريق أعظم الملائكة وهو جبريل، ثم بثها في الناس، فهذه وظيفته كرسول، وليست تلك التعاليم من صنع نفسه، ولو كان المسيح هو الرب لقال (هذه التعاليم من عندي) ولم يقل إنها من عند الله، وبناء عليه فالمسيح ليس هو الرب ولا ابن الرب.

١٥. وفي إنجيل يوحنا (٧/٢٨-٢٩):

«فنادى يسوع وهو يُعَلِّم في الهيكل قائلا: تعرفونني وتعرفون من أين أنا، ومن نفسي لم آت، بل الذي **أرسلني** هو حق، الذي أنتم لستم تعرفونه.
أنا أعرفه لأني منه، وهو **أرسلني**».

١٦. كما جاء أن المسيح أخبر قومه بأنه رسول كما في إنجيل يوحنا (٧/٣٢-٣٣):

«سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوِه، فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليُمسكوه.
فقال لهم يسوع: أنا معكم زمانا يسيرا بعد، ثم أمضي إلى الذي **أرسلني**».

١٧. وفي إنجيل يوحنا (٥/٢٤):

«الحق الحق أقول لكم: إنَّ من يسمع كلامي ويؤمن بالذي **أرسلني** فله حياة أبدية».

وخلاصة الكلام أن المسيح رسول من عند الله، وهذا متطابق مع قول الله تعالى في حق المسيح ﴿ما المسيح ابن مريم إلا **رسول** قد خلت من قبله **الرسل** وأمُّهُ صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنَّى يؤفكون﴾.

وتفسير الآية: ما المسيح ابن مريم عليه السلام إلا رسولٌ كمن تقدمه من الرسل، وأُمُّه صِدِّيقةٌ، أي صَدَّقت تصديقًا جازمًا بكلام ربها، وظهر تحقيق ذلك في علمها وعملها الصالح، وهما – أي المسيح وأُمَّهُ كغيرهما من البشر، يحتاجان إلى الطعام، ولا يكون إلٰها مَن يحتاج الى الطعام ليعيش.

ثم قال الله مخاطبا نبيه ﴿انظر كيف نبين لهم الآيات﴾، أي تأمَّل أيها الرسول حال هؤلاء، كيف وضحنا لهم أدلة بُطلان ما يَدَّعونه في المسيح من أنه ابن الله، ثم هم مع ذلك يَضِلُّون عن الحق الذي نَهديهم إليه، ثم انظر كيف يُصرفون عن الحق بعد هذا البيان؟

تم الدليل السابع، وننتقل الآن إلى الدليل الثامن من أدلة بطلان مقولة إن المسيح رب.

***

٨. ومن دلائل بطلان مقولة إن المسيح ربٌّ أو ابن الربِّ ما ثبت عنه أنه صلى لله، وكان يقول لتلاميذه: انتظروني حتى أصلي، وكان يذهب إلى المعبد ويصلي ويسجد، ومن المعلوم أن الصلاة لا تكون إلا لرب معبود يعتقد المصلي أنه أعظم منه وأن له حق العبادة والتوجه إليه، فلو أن المسيح هو الله لما احتاج لأن يصلي لله، لأن هذا سيكون من العبث، ولكان المفروض أن يقول للناس: (صلوا لي، واعبدوني، أنا لا أحتاج أن أصلي لأحد لأني أنا الله)، ولكن هذا لم يكن، فبناء عليه فلا يمكن أن يكون المسيح هو الله.

***

٩. ومن أدلة بطلان مقولة (إن المسيح ابن الله) هو أنه ورد عن المسيح نفسه النهي عن هذه المقولة، ولو أن المسيح ابن الله فعلا لأقر القائل على ذلك ولما زجره، فإنه لما قالت الشياطين ليسوع (أنت ابن الله) زجرهم ونهاهم، كما في إنجيل لوقا (٤/٤١)، فهذا دليل **صريح جدا** على أن اليسوع ليس ابنا لله.

***

١٠. ثم إن المسيح رحيم بالناس، شفيق عليهم، فلو كانت هذه العقيدة حقا (عقيدة أنه الرب أو ابن الرب) **لكررها وبينها بوضوح لتثبت في عقول الناس**، وَلَـوَرَدَ ذِكرها بشكل واضح جدا في الأناجيل الأربعة والرسائل الثلاثة والعشرين الملحقة بها، ولم يكتفِ بأسلوب التلميح في مثل هذه المسائل العظيمة ويترك أسلوب التصريح الواضح، ثم يستعملُه – أي أسلوب التصريح الواضح – في مسائل أقل أهمية، لأن المسألة مصيرية وعقائدية، يقوم عليها الدين كله، ويترتب عليها مصير الإنسان في الآخرة، إما جنة وإما نار.

- ومن اللطيف ذكره في هذا المقام أنه قد ورد نص في إنجيل يوحنا (١٨: ١٩-٢٠) يبين أن اليسوع كان **واضحا دائما**، وهو:

«فسأَلَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسُوعَ عَنْ تَلاَمِيذِهِ وَعَنْ تَعْلِيمِهِ.

أَجَابَهُ يَسُوعُ: أَنَا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ **عَلاَنِيَةً**. أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي الْمَجْمَعِ وَفِي الْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ دَائِمًا. **وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ**».

- وانظر أيضا أيها القارئ العاقل وأيتها القارئة العاقلة إلى **الوضوح** في قول المسيح كما في إنجيل مرقص (١٢/٢٩):

«اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيل: الرَّبُّ **إِلهنَا رَبٌّ وَاحِد**».

فلو كان المسيح هو الرب لقال المسيح: (أنا ربكم)، بدلا عن قوله (الرَّبُّ إِلهنَا رَبٌّ وَاحِد).

فهذا النص **واضح** في أن الله هو رب الناس كلهم، المسيح وغيره.

فهل من العقل أن نترك هذا النص الصريح الواضح ثم نقلب المعنى ونلغي معناه ونقول إن المسيح رب أو ابن الرب أو أن الله تجسد فيه أو ... أو؟

لو كان المسيح هو الرب والمُخَلِّص لصرح بوضوح وقال (أنا الرب)، أو (أنا الله، أنا الإله، أنا الخالق، اعبدوني)، وهذا لا يوجد أبدا في أيٍّ من الأناجيل.

- وانظر أيضا إلى الوضوح في تقرير وِحدة ذات الله في قول الله كما في (أشعيا ٤٦:٩):

«اُذْكُرُوا الأَوَّلِيَّاتِ مُنْذُ الْقَدِيمِ، **لأَنِّي أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ. الإله وَلَيْسَ مِثْلِي**».

فلو كان المسيح ابن الله أو هو الله لقال الله في النص السابق: (إني أنا الله وهناك **إله** آخر وهو يسوع)، لأن الله واضح في كلامه، فهو يريد الخير والإرشاد والهداية للناس كلهم، ولكن هذا لم يكن، فعُلِم أن الحق هو ما تقرر من أن الله واحد بذاته، والمسيح واحد بذاته، لم يَحِل أحدهما في الآخر.

***

١١. الدليل الحادي عشر على بطلان عقيدة التثليث – والتي تعتمد أصلا على عقيدة (أن المسيح رب) — أن هذه العقيدة لا تُعرف في أي دين سماوي سابق ولا لاحق، فهذه العقيدة لم يعرفها أنبياء الله السابقين الذين يَعترف بهم اليهود والنصارى[١] (المسيحيون)، مثل النبي نوح وإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، بل ولم يعرفها ولم يذكرها أنبياء بني إسرائيل التي وصلت إليهم أخبارهم كيعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان عليهم السلام.

نعم، ليس في العهد القديم الذي يؤمن به المسيحيون – والذي ساق أخبار هؤلاء الأنبياء ودعوتهم – أن هؤلاء الأنبياء دعوا إلى عبادة إله مُـثلَّث الأقانيم، أو تلفظوا بلفظ التثليث وما شابه ذلك، بل الذي ورد عنهم هو أنهم دعوا بدعوة كل الرسل من نوح إلى محمد (صلى الله عليه وسلم)[٢]، حيث دعوا إلى عبادة إله واحد لا شريك له، وهذا مُدَوَّن في العهد القديم.

ومن ذلك:

- قول الله لإبراهيم عليه السلام كما في العهد القديم سفر التكوين (١٧/ ٧): «وأُقيمُ عهدي بيني وبينك وبين نَسلِك من بعدك في أجيالهم، عهداً أبدياً، لأكون **إلهًا لك** ولِـنَسلِك من بعد».
- قول الله لموسى عليه السلام في طور سيناء في كلامه له كما هو في العهد القديم الذي يؤمن به المسيحيون في سفر الخروج (٣/ ١٥): «وقال الله أيضاً لموسى: هكذا تقول لبني إسرائيل: يهوه **إله آبائكم**، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، أرسلني إليكم».

---

[١] النصارى هم المعروفون الآن بالمسيحيين، وهم أتباع عيسى ابن مريم، ووجه تسميتهم بهذه التسمية «نصارى» هو تناصرهم فيما بينهم.
وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك تبعا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿من أنصاري إلى الله قال الـحواريون نحن أنصار الله﴾.
وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها «ناصرة» بفلسطين، وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك لأن عيسى خرج منها.
وعلى كل حال فكلمة «نصارى» أصلها من النصرة، وهي صفة مدح وثناء.

[٢] معنى الصلاة على النبي محمد هو ثناء الله عليه في الـملإ الأعلى وهم الملائكة، وهذا فيه زيادة تشريف وثناء عليه، وهو يستحق ذلك، لأن الله هدى الناس به إلى الدين الصحيح.
ومعنى (وسلَّم) هذا دعاء أيضا أن يُسَلِّمه الله من الآفات، مثل الطعن فيه أو في زوجاته ونحو ذلك.
فيكون المعنى الإجمالي لجملة (صلى الله عليه وسلم) أي: اللهم اثنِ على نبيك محمد عند ملائكتك، وسَلِّمه من الآفات.
وهذه الجملة جملة توقير واحترام، ويجب على المسلم أن يقولها كلما مر بذكر النبي محمد، فلا يليق بالمسلم أن يمر عليه اسم النبي محمد فلا يدعو له، وكأنه يتكلم عن إنسان عادي.
كما يستحب قول (عليه السلام) عند ذكر باقي الأنبياء، تشريفا لهم وتكريما.

- وفي نفس السفر (٤/ ٥) قول الله لموسى: «لكي يصدقوا أنه قد ظهر لك الرب **إله آبائهم**، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب».
- وهذا الخطاب لموسى جاء مثله في إنجيل لوقا (٢٠/ ٣٧).
- وجاء في العهد القديم في سفر أشعيا (٤٤/ ٦): «هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه، رب الجنود: أنا الأول وأنا الآخِر ولا **إله غيري**».
- وهذا حزقيا أحد أنبيائهم يخاطب الرب: «أنت هو **الإله وحدك**، لكل ممالك الأرض. أنت صنعت السماوات والأرض». سفر أشعيا (٣٧/ ١٦).
- كذلك فلم يعترف الدين الذي جاء بعد دين المسيح – وهو دين واحد وهو دين الإسلام – بهذه العقيدة، أي عقيدة التثليث، بل أنكرها، كما قال الله تعالى في القرآن ﴿لقد كفر الذين **قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد** وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم * أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم * ما الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطعام انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُون﴾.

وقال الله تعالى ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا **إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾.

وقال تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا **إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ **اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَار﴾.

قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ولا **تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ** لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا﴾.

فقوله ﴿سبحانه أن يكون له ولد﴾، أي أن الله مُنَزَّهٌ عن أن يكون له ولد، لأن اتخاذ الولد صفة نقص وليست صفة كمال، لأن اتخاذ الأولاد يدل على احتياج الرب إلى الناس وهذا باطل، لأن الله غني عن العالمين.

فهذا هو القرآن، دستور دين الإسلام، وكلام الله المحفوظ إلى يوم القيامة، يبين أن عقيدة التثليث باطلة، وأن عقيدة أن المسيح هو الله باطلة، ويبين أيضا أن عقيدة أن المسيح ابن الله باطلة، والصحيح أن المسيح كان عبدا لله، وكان يأمر قومه بعبادة الله.

فالحاصل أن القول بالتثليث يلزم منه أن جميع الأنبياء والرسل ضلوا عن معرفة إلٰههم ومعبودِهم وخالقِهم، واهتدى إليه القساوسة الذين وضعوا عقيدة التثليث بعد رفع المسيح بعدة قرون في القرن الرابع الميلادي في عقيدة إيمانهم التي اتفقوا عليها في مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م، وهذا قولٌ واضح البطلان.

***

الفصل الثاني: الأدلة العقلية على بطلان مقولة إن المسيح رب، وعدد هذه الأدلة ستة عشر

١٢. ومن دلائل بطلان مقولة إن المسيح ربٌّ أنه لا يمكن لجسم بشري أن يحتوي ذات الله، لأن الله كبيرٌ، أكبر من كل شيء، وعالٍ فوق سماواته، فوق كل شيء، ولا شيء فوقه، والبشر على العكس من ذلك تماما، فبناء عليه فمقولة إن المسيح هو الرب بناء على عقيدة أن الرب تجسد في المسيح مقولة باطلة وكذبٌ على الله، وتعتبر تقليل من قدر الله، والقول بها كفر بالله العظيم.

والواجب هو تعظيم الله وتنزيهه عن الامتزاج بخلقه، لأن الله غني عن العالمين، ولأن تنقص الله كفرٌ، وموجب للخلود في النار.

تنبيه

يستدل القساوسة على عقيدة التجسد (حلول الله في المسيح) بما قاله بولس في رسالته الأولى لتيموثاوس (١٦/٣): «عظيم هو سر التقوى. **الله ظهر في الجسد**، تَـبرَّر في الروح».

وما تعلق به المسيحيون من كلام بولس يعتبر خطأ عظيما، إذ لو كان بولس مُحِقًّا لكان عليه أن يبين مستنده لما قاله **من كلام المسيح نفسه**، وليس من كلامه هو، وإلا يعتبر مدَّعيا ما ليس له به علم، وكاذبا في نفس الوقت، وهذه هي حقيقة ذلك الرجل الذي أضل المسيحيين عن دين المسيح، وتسبب في جميع التحريفات لتعاليم المسيح الأصلية.[١]

وسيأتي الكلام بالتعريف ببولس، وبيان تحريفه المدمر لدين المسيح.

***

١٣. ثم كيف يكون اليسوع ربا وقد تبين أن هناك بشرا خُـلِـقوا وتواجدوا قبله؟

من المفروض أن يكون الرب موجودا قبل وجود الناس ثم يخلقهم، وليس العكس، وإلا فكيف سيخلقهم وهو لم يوجد أصلا؟!

هذا القول مناقض للعقل، لأنه لا يُتصور أن الكون موجود قبل وجود من خلَقه، ويسير بلا رب يُدبره، ثم جاء الرب بعد ذلك، هذا قول مناقض للعقل أشد التناقض.

إن القول الصحيح أن الله موجود دائما، ليس له بداية، والمسيح بشرٌ، خلقه الله لما أراد خلقه، وأن الله له ذات، والمسيح له ذات أخرى.

***

١٤. كيف لنا أن نصدق أن اليسوع رب فعلا مع أنه كان متواجدا ومولودا في حقبة زمنية معينة ولم يكن موجودا في حقبة أخرى؟

---

[١] بتصرف من «موسوعة الأديان»، الباب الثالث: النصرانية وما تفرع عنها، الفصل السابع: عقيدة النصارى، المبحث الثالث: الاتحاد (التجسد). الناشر: الدرر السنية. (www.dorar.net/enc/adyan/477).

***

١٥. كيف يكون اليسوع ربا وهو لا يعرف الناس الذين عاشوا قبل ولادته؟

***

١٦. ولماذا لم يوجده الله – إن كان المسيح فعلا ابنه – قبل خلق الناس؟

لماذا جعله متأخرا مع كونه ربهم — بحسب زعم من قال ذلك –؟!

***

١٧. إذا كان المسيح هو ابن الله فعلا، فلماذا يتعلق به جمهور المسيحيين أكثر من تعلقهم بالله نفسه، ويدعونه ويرجونه ويعظمونه أكثر مما يعظمون الله نفسه؟

إن التصرف الطبيعي هو أن يكون التعلق بالله أكثر، لأنه هو أبو المسيح في اعتقادهم، وهو الذي خلقه.

على ماذا يدل هذا التناقض؟

***

١٨. ثم كيف يصح أن يقال إن الله اتخذ ابنا **واحدا**؟ لماذا لم يتخذ عدة أبناء كما هي عادة الملوك والأغنياء والعظماء؟

إن التَّكـثُّـر من الأبناء من صفات الأغنياء، والله هو أغنى الأغنياء، فلماذا لم يتكثر الله من الأبناء لو كانت صفة اتخاذ الابن صفة حقيقية له؟! تعالى الله عن ذلك.

***

١٩. لو كان المسيح ربا وإلٰها حقا فلماذا لم يدْفع الموت عن نفسه (على افتراض أنه مات فعلا على الصليب – وهذا لم يحدث)؟

لا يمكن أن يكون المسيح ربا ثم يقتله البشر (مجموعة من اليهود) لسببين:

الأول: أن الرب لا يعتريه الموت، لأن الموت صفة نقص، والرب متصف بصفات الكمال، والله حي لا يموت.

والثاني: أن الرب أقوى من خلقه، فلا يمكن أن تقوى وتنتصر مجموعة من البشر (اليهود) على قتل الرب وإهانته والبصق عليه ووضع الشوك على رأسه وصلبه ودفنه في الأرض!

هذه المقولة (مقولة إن المسيح مات مصلوبا) تناقض مقولة إن المسيح ربٌّ من كل وجه.[١]

ويقال أيضا: لو كان المسيح ربا وإلٰها حقا فلماذا لم يدفع الموت عن أمه مريم؟

***

[١] انظر لبيان خرافة هذه العقيدة كتاب: «**أربعون دليلا على بطلان عقيدة توارث الخطيئة وعقيدة صلب المسيح**»، تأليف: ماجد بن سليمان الرسي، وهو منشور في شبكة المعلومات بهذا العنوان.

.

٢٠. ثم إن مقولة إن المسيح هو الله تتناقض مع مقولة إن المسيح مات لما صُلِب، لأن المسيح إذا كان هو الله ثم مات فلا بد أن يموت الأب أيضا لأنه المسيح هو الله نفسه بزعمهم!

***

٢١. ثم إن مقولة إن (الله هو المسيح) تتناقض مع مقولة (المسيح ابن الله)، فكيف يكون الولد هو الوالد في نفس الوقت؟!

***

٢٢. ثم إن الجميع يعلم أن الله لم يولد، بينما المسيح ولدته أمه، فدل هذا على أنهما ذاتان مختلفتان تماما، **غير ممتزجتين في إله واحد**، فجعْلُهُما ذاتًا واحدة من أعظم المعاندة للعقل الصريح.

***

٢٣. ثم إن الله ليس له بداية، بينما المسيح له بداية، ولو كانا ذاتا واحدة لكان هذا الامتزاج قبل وجود المسيح، وبناء على هذا فالمسيح ليس هو الله.

***

٢٤. كذلك فلو كان المسيح ربا فعلا لما اختلف جمهور النصارى (المسيحيون) عليه، **فقالت طائفة إنه هو الله، وقالت طائفة أخرى إنه ابن الله، وطائفة ثالثة** قالت إنه ثالث ثلاثة، بل لكان القول فيه واحدا لا يختلف ولا يضطرب، فحُصول الاضطراب بين هذه الأقوال يدل على سقوطها كلها، وأن الحق في وادٍ وهذه الأقوال في وادٍ آخر.

***

٢٥. من المعلوم أن الله رحيم بالبشر، ليس له مصلحة في تعقيد الأمور وإثارة الفوضى العقلية في مجتمع بني إسرائيل، وقد جاء في (رسالة كورنثوس الأولى: ١-٣٣): «**الله ليس إله تشويش بل إله سلام**».

إذا تقرر هذا فلا بد أن الذي جعل عقيدة المسيحيين معقدة **هم البشر وليس الله**، وهذا هو الواقع لما أدخل بولس في عقيدة المسيح الأصلية ما ليس منها، فحرَّفها بقوله إن المسيح ابن الله.

ولو أنك أمسكت طفلا وطلبت منه أن يشرح لك عقيدة التثليث لما استطاع، في حين أن العقيدة المتعلقة بالله ينبغي أن تكون مفهومة لكل إنسان، سواء كان طفلا أو كهلا، أو أُمِّيًّا – لا يقرأ ولا يكتب – أو عالم في الذرة.

ولو أنك عرضت على هذا الطفل عقيدة الإسلام وقلت له: (إن الذي خلقك وخلق جميع ما في هذا الكون هو الله وحده، فاعبده ولا تعبد غيره، والله غني، لم يتخذ ابنا ولا زوجة) لفهم منك هذه العبارة في دقيقة، واقتنع بها، ولم يحتَـج إلى أكثر من ذلك.

***

٢٦. التثليث غريب على دين المسيح عليه السلام، فلم يأمر المسيح بعبادة إله مثلث الأقانيم، ولم ترد عنه لفظة التثليث والأقانيم في أيٍّ من الأناجيل الأربعة ولا في الرسائل الثلاثة والعشرين الملحقة بها، مع أن التثليث هو صُلب عقيدة المسيحيين الآن.

وقد جاء في دائرة المعارف الأوروبية باللغة الفرنسية ما يؤكد هذا، فقد جاء فيها عن عقيدة التثليث: (أنها ليست موجودة في كتب العهد الجديد ولا في أعمال الآباء الرسوليين ولا عند تلاميذهم الأقربين، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستانتي التقليدي يدَّعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان).

وجاء في دائرة المعارف لبطرس البستاني وهو مسيحي: (لفظة ثالوث لا توجد في الكتاب المقدس).

فالحاصل أن عقيدة التثليث لو كانت حقا لكثر ذكرها في الأناجيل والرسائل الملحقة بها، لأنها تعتبر صُلب وصميم عقيدة المسيح – بحسب اعتقاد جماهير المسيحيين –، ولكن الواقع خلاف ذلك تماما، فهذه اللفظة (التثليث، أو مثلث الأقانيم) **لم ترد فيها ولا مرة واحدة**، فعُلِم أن هذه العقيدة دخيلة على دين المسيح وليست أصيلة.

وهنا همسة في آذان القساوسة: إذا تبين لكم أن عقيدة التثليث باطلة، فلا تفرضونها على الناس بالإكراه، لأن هذا خلاف الأمانة العلمية، وضد الحريات الشخصية.

كذلك، فإنه من المعلوم أن الزيادة في الدين ممنوعة، لأن هذا يعتبر تدخلا في خصوصية الرب (الله)، فالله هو الذي يُشّرِّع من عنده، والبشر ليس لهم الحق في أن يزيدوا أو ينقصوا في الدين، بل الواجب عليهم تطبيق الشرع كما هو، ولا يزيدون فيه ولا ينقصون ولا يُحرِّفون، وبهذا تحصل العبودية لله عَزَّ وجل، وإلا صار هذا المُحَرِّف مشاركا للرب في خصوصية التشريع، وهذا نوع من أنواع الشرك بالله.

***

٢٧. لو كان المسيح هو الله لأمر الناس بعبادته بكل وضوح، ولكن الواقع أنه نهى عن عبادته **بكل صراحة ووضوح**، فقد قال كما جاء عنه في (إنجيل متى ١٥ – ٩) وكذلك في (مرقص ٧:٧):

«**وباطلا يعبدونني، وهم يُعلِّمون تعاليم هي وصايا الناس**».

يقصد بقوله (وباطلا يعبدونني) أن الناس سيعبدونه، وأن عبادتهم له باطلة، وأنها لن تنفعهم يوم القيامة، وعليه فسيأتي الإنسان يوم القيامة الذي عبَد المسيح عشرين سنة أو ثلاثين سنة أو خمسين سنة، ثم يجد أن عبادته باطلة غير مقبولة من عند الله، وأنه يستحق العقوبة لأنه ترك عبادة الله المستحق للعبادة وعبد غيره، بل وسيجد أن المسيح يتبرأ من عبادته له كما قال الله في القرآن:

﴿وَإِذْ قَالَ الله يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلهين مِن دُونِ الله قَالَ سُبْحَانَكَ **مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ** إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوب * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ **أَنِ اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ** وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم * قَالَ الله هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم * للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾[1].

تفسير الآيات الكريمات:

[1] سورة المائدة: ١١٦ – ١٢٠.

ذكر الله تعالى في هذه الآيات بعضا مما سيكون يوم القيامة، ومنها أنه سيَسأل المسيح، عيسى ابن مريم (وهو أعلم بالإجابة): ءأنت قلت للناس اجعلوني وأمي معبودَين من دون الله؟

فعندها سيجيب المسيح منزِّهًا الله تعالى عن ذلك: ما ينبغي لي أن أقول للناس غير الحق، إن كنتُ قلتُ هذا فقد علمتَه يا الله، لأنه لا يخفى عليك شيء، تعلمُ ما تُضمره نفسي، ولا أعلم أنا ما في نفسك، إنك أنت عالمٌ بكل شيء مما ظهر أو خَفي.

ثم سيقول المسيح عليه السلام: يا ربِّ ما قلتُ لهم إلا ما أوحيته إليَّ وأمرتني بتبليغه، من إفرادِك بالعبادة، وكنتُ أنا شاهدًا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم لَمَّا كنت بينهم، فلما توفيتني إليك، أي قبضتني واسترجعتني إليك برفعي إلى السماء، كنت أنت المطَّلِع على سرائرهم، وأنت على كل شيء شهيد، لا تخفى عليك خافية في الأرض ولا في السماء.

إن تعذبهم يا الله فإنهم عبادك، وأنت أعلم بأحوالهم، تفعل بهم ما تشاء بعدلِك، أو تغفر لهم برحمتك، فإنك أنت العزيز الذي لا يُغالَبُ، الحكيم في تدبيره وأمره.

وهذه الآية فيها ثناء على الله تعالى بصفة الحكمة والعدل وكمال العلم.

عند ذلك سيقول الله للمسيح عليه السلام: هذا يوم الجزاء الذي ينفع المُوَحِّدين[1] توحيدهم ربهم، وانقيادهم لشرعه، وصدقُهم في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم، لهم جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، ماكثين فيها أبدًا، رضي الله عنهم فقبل حسناتهم، ورضوا عنه بما أعطاهم من جزيل ثوابه. ذلك الجزاء والرضا منه عليهم هو الفوز العظيم.

وعند ذلك سيعلم من كان يعبد المسيح أنه كان مخدوعا، خدعه الشيطان، وخدعه بشرٌ مثله كانوا يمنعونه من سماع القرآن أو مجرد الاحتكاك بالمسلمين لسماع الحق، فذهب عمله هباء منثورا، وسيندم حين لا ينفع الندم.

فالحاصل أن المسيح لا يرضى بعبادته، بل يأمر الناس بعبادة الله وحده وعدم الإشراك به.

وقول المسيح كما في النص السابق (وهم يُعلِّمون تعاليم هي من وصايا الناس) يقصد بهذا ما سيحصل في المستقبل من عبادة الناس له بناء على تعاليم من عند البشر (الناس) وليست من عند الله، وقد حصل هذا بالفعل —كما سنبين لاحقا بالتفصيل – ، وذلك لما انعقد مؤتمر نيقية عام ٣٢٥م، واتفقوا على عقيدة تأليه المسيح، وبعده انعقد مؤتمر القسطنطينية عام ٣٨١م واتفقوا على عقيدة التثليث، فقرر القساوسة الذي هم من جملة (الناس) وصايا لا تمت إلى تعاليم المسيح بصلة، بل هي من عند أنفسهم، ودعمَهم في فرضِها قسطنطين، أحد أباطرة الرومان[2] في ذاك الزمان، وفرضَها على الناس بالحديد والنار، فتبعهم الناس بدافع الخوف أو التقليد، بدون تمحيص أو مناقشة، بل المناقشة العقلية ممنوعة إلى يومنا هذا، وستظل ممنوعة، لأنها عقيدة خرافية هشة، لا تصمد للمناقشة العلمية والمواجهة، وهذا لا يرضاه القساوسة، لأن سقوط عقيدتهم في عيون الناس سبب لسقوط هيمنتهم على الناس (الرعية).

****

[1] مُوَحِّدين جمع مُوَحِّد، وهو الرجل يعتقد أن الله واحدٌ في ذاته، وأنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، وضده المُشرك، يعبد مع الله غيره.

[2] سيأتي التعريف بالرومان وعقائدهم في الملحق الثاني من ملاحق هذا الكتاب: «نبذة عن عقائد الرومان».

وهنا قد يأتي سائل مثقف، أو سائلة مثقفة، فيسألان سؤالا منطقيا فيقولان:

إذا كانت المصادر الإنجيلية المعاصرة تقرر أن المسيح بشر رسول، وأنه عبدٌ لله وليس هو الله ولا ابن الله، فما هو سبب مخالفة المسيحيين لهذا الاعتقاد؟

ومن أين أتى هذا الانحراف في عقيدة المسيح إلى ما نحن عليه من التثليث وغيره؟

ولماذا يُعلِّمنا القساوسة أن المسيح رب وابن الرب وثالث ثلاثة، وإنه إله وابن الإله، وإن الله تجسد في المسيح وحلَّ فيه؟

ما هو عمدتهم في هذه الأقوال والعقائد البعيدة كل البعد عما هو مذكور في العهد القديم والجديد من النصوص التي تقرر خلاف ما يقررونه في الكنائس، إضافة إلى أنهم يمنعون المثقفين والمثقفات من مجرد السؤال عنها فضلا عن الاعتراض؟!

ما هو سِرُّ المسألة؟

فالجواب: إن التاريخ يثبت أن رسالة المسيح تعرضت إلى حملة تشويه شرسة في القرون الستة الأولى بعد رفعه، أدت إلى تغير رسالته تغيرا جذريا، وتحولها إلى دين وثني، لا يمت لتعاليم المسيح بصلة، ولا لعبادة الله بصلة، وهذا أوان الشروع في تبيين مراحل التشويه هذه.

***

الفصل الثالث: الأدلة التاريخية على إثبات أن مقولة (إن المسيح رب) مقولة من اختراع البشر، وكذلك مقولة التثليث، وعدد هذه الأدلة اثنان، الأول متعلق بـمن يسمى «بولس الرسول»، والثاني متعلق بالمجامع الكنائسية المدعومة من الحكومة الرومانية

٢٨. الدليل التاريخي الأول على تحريف دين المسيح[١]

- **مقدمة**

إن التاريخ يبين أن عقيدة أن (المسيح ابن الله) لم تُعرف بين أتباع المسيح إلا بعد رفعه إلى السماء، والذي أدخلها رجل يهودي اسمه شاول، عُرِف لاحقا باسم بولس الرسول، (ويُلفظ أحيانا: بولص)، ابتدع هذه العقيدة وعقائد أخرى وأدخلها جميعا في دين المسيح الأصلي، مُدَّعيا أنه رسول، أرسله المسيح إلى الناس، فبثَّ تلك العقائد بين الناس، فصار النصارى (المسيحيون) لا يَتَّبِعون في الحقيقة دين المسيح اليسوع الذي جاء به من عند الله، بل يتبعون الدين المحرف الذي ابتدعه بولس.

وبولس في الأصل رجل يهودي كما أسلفنا، ظهر على مسرح الأحداث بعد رفع المسيح بحوالي ثلاث إلى خمس سنوات، فانقلب فجأة ودون مقدمات من عَدُوٍّ مجرم ومتطرف في عداوته ضد يسوع ورسالته وأتباعه، إلى رسول موحى إليه مِن قِبَلِ الله ومِن قِبَل يسوع أيضا، فادّعى خمسة أمور:

الأول: ادَّعى أنه رسول مُعَيَّن من قِبل يسوع.

الثاني: ادَّعى أن اليسوع أَوحى إليه إنجيلاً.

الثالث: ادَّعى أن المسيح ابن الله.

الرابع: ادَّعى أن خطيئة أبينا آدم وأمنا حواء لم تُغفر، وأن البشرية توارثتها عبر القرون، وهي المعروفة بـ «الخطيئة» أو «المعصية الأولى».

الخامس: ادَّعى بولس أن يسوع أرسله الله فنزل إلى الأرض ليُصلب ويتعذب فداء للبشرية من خطيئة أبَويهم آدم وحواء.

- **هدف بولس النهائي هو الوصول إلى هدفين:**

الأول: هدم دين المسيح من الداخل، بتحريفه وتشويهه وتحويله إلى دين آخر مختلف تماما في جوهرِهِ عن دين المسيح.

الثاني: استمالة الوثنيين الرومان إلى الدين الجديد الذي صمَّمه لهم، بأن جعَله متوافقا مع مبادئهم الوثنية.

ولكي يحقق بولس هدفه بسهولة ويتجنب المواجهة مع أتباع المسيح، دخل بولس في دين المسيح (في الظاهر)، وكان ذلك منه نفاقا وخداعا لأتباع المسيح الحقيقيين، بأن كان يُظهر اتِّباعَ المسيح وحبَّه في الظاهر، وفي الباطن كان يخفي الكفر به وبدعوته، وبعبارة أخرى فقد كان بولس منافقًا، جعل نفاقه ستارا يتستر به، ونقطة بداية ينطلق منها إلى عملية تخريب واسعة النطاق في رسالة ودين يسوع المسيح.

---

[١] للأمانة العلمية فقد استفدت جُل المعلومات المذكورة في هذه النقطة والتي تليها من كتاب: «تاريخ النصرانية – مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، المبحث الثالث، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع.

ومن الإيجاز ننتقل إلى التفصيل لفهم دور بولس في تحريف رسالة المسيح، وبيان ذلك يتضح في ستة نقاط نَسرِدها على سبيل الإيجاز ثم نتكلم على كل واحدة بالتفصيل:

- **النقطة الأولى: إثبات عداوة بولس للمسيح وأتباعه.**

- **النقطة الثانية: بولس يدَّعي أنه رسول مُعَيَّن من عند المسيح، وينقلب انقلابا مفاجئا من عدو شرس للمسيح ودعوته إلى نبي موحى إليه من المسيح نفسه!**

- **النقطة الثالثة: دعوى بولس أن المسيح ابن الرب، (تعالى الله عن أن يتخذ ولدا).**

- **النقطة الرابعة: دعوى بولس أن المسيح هو الرب، (تعالى الله عن ذلك).**

- **النقطة الخامسة: دعوى بولس أن خطيئة أبينا آدم باقية، وأن البشر توارثوها، وأن الله أرسل ابنه المسيح (فاديا) لِـيُـخلصهم من خطيئة أبيهم آدم، بأن يموت مقتولا مصلوبا، وبذلك يرضى الرب وتَتِم المصالحة بينه وبين البشر.**

- **النقطة السادسة: إثبات كذِب بولس في دعواه أن المسيح أرسله وغيرها من الدعاوى.**

***

التفصيل

- **النقطة الأولى: إثبات عداوة بولس للمسيح وأتباعه**

مقدمة: كان الناس في فلسطين ينظرون للمسيح ابن مريم قبل أن يبدأ في دعوته على أنه إنسان مثلهم، ولما بدأ دعوته لقومه اليهود انقسموا إلى قسمين:

الأول: قومٌ صدقوه وآمنوا برسالته واتبعوه، وأنه نبي بشر مرسل من الله سبحانه وتعالى إليهم.

والقسم الثاني: قومٌ كذبوه ولم يؤمنوا به، واتهموه بأنه مدَّعٍ للنبوة.

وقد حاول أعداء المسيح من اليهود توريط المسيح مع السلطات الرومانية الحاكمة لفلسطين آنذاك، لعلهم يصطادونه بكلمة يقولها ضد تلك السلطات.

وهنا قد يسأل سائل فيقول: لماذا يكره اليهود المسيح؟

فالجواب: إن دعوة المسيح وتعاليمه السمحة تتناقض مع طبائع اليهود المادية الشرهة، وقلوبهم القاسية المتكبرة المتحجرة، فلما جاءهم اتهموه بأنه مدَّعٍ للنبوة، وكفروا بالآيات الدالة على نبوته، وقالوا إنها تتم بمساعدة الشياطين.

وبعد رفع المسيح إلى السماء بسنوات قليلة جاء بولس اليهودي، المتطبع بطبائع اليهود من رأسه إلى أخمص قدَميه، فادَّعى أن المسيح إله وأنه ابن الله، فتبعه من تبعه على هذا الاعتقاد، فنشأ **القسمُ الثالث** الذي يضاف إلى القسمين الآنف ذكرهما.

- **سرد النصوص المُثبتة لعداوة بولس للمسيح ودينه وأتباعه**
- جاء عنه في «أعمال الرسل» «٣/٨»:

«وأما شاول فكان **يسطو على الكنيسة**، وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء **ويسلمهم إلى السجن**».

- وقال في «رسالته إلى أهل غلاطية» (١٣/١):

«فإنكم سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية، أني كنت **أضطهد كنيسة الله بإفراط وأُتـلِفها**».

- وجاء عنه في «أعمال الرسل» (٩/٢٦-١١) أنه قال للملِك أغريباس:

«فأنا ارتأيت في نفسي أنه ينبغي أن أصنع أمورا كثيرة **مضادة لاسم يسوع الناصري**.

وفعلت ذلك أيضا في أورشليم، **فحبستُ في سجون كثيرين من القديسين**، آخذا السلطان من قِـبَل رؤساء الكهنة[١]. ولما كانوا يُقتلون ألقيت قرعة بذلك.

وفي كل المجامع كنت **أعاقبهم مرارا كثيرة**، وأضطرهم إلى التجديف[٢]. وإذ أَفـرَط حَـنَـقي عليهم كنت **أطردهم إلى المدن التي في الخارج**».

- وجاء عن بولس في بداية الإصحاح التاسع من «أعمال الرسل»:

«أما شاول فكان لم يزل **ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب**، فتقدم إلى رئيس الكهنة.

وطلب منه رسائل إلى دمشق، إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناسا من الطريق، رجالا أو نساء، **يسوقهم موثقين إلى أورشليم**.

وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتةً أبرق حوله نور من السماء.

فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له: شاول، شاول لماذا تضطهدني.

فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: **أنا يسوع الذي أنت تضطهده**. صعب عليك أن ترفس مناخس.

فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل».

- **النقطة الثانية: بولس يكذب على الناس، ويدَّعي أنه رسول مُعَيَّن من عند المسيح نفسه، وينقلب انقلابا مفاجئا من عدو شرس للمسيح ودعوته إلى نبي موحى إليه من المسيح نفسه!**

جاء عنه في «أعمال الرسل» (١٢/٢٦-١٨) أنه قال للملِك أغريباس:

«ولما كنت ذاهبا في ذلك إلى دمشق بسلطانٍ ووصيةٍ من رؤساء الكهنة.

---

[١] أي أنه كان يستمد سلطته في التقتيل من رؤساء الكهنة اليهود.

[٢] التجديف هو الكذب والبهتان وقول الكفر.

رأيت في نصف النهار في الطريق، أيها المِلك، نورا من السماء أفضلُ من لمعان الشمس، قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي.

فلما سقطنا جميعنا على الأرض سمعت صوتا يكلمني ويقول باللغة العبرانية: شاول[1]، شاول، لماذا تضطهدني؟ صعُب عليك أن ترفس مناخس.

فقلت أنا: من أنت يا سيد؟ فقال: **أنا يسوع الذي أنت تضطهده**.

ولكن قم وقف على رجليك لأني لهذا ظهرتُ لك، **لأنتخبك خادما وشاهدا بما رأيتُ وبما سأُظهِر لك به**.

منقذا إياك من الشعب ومن الأمم الذين **أنا الآن أرسلك إليهم**.

لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيبا مع المقدسين».

انتهى كلامه.

التعليق:

ما هو مكتوب في هذا النص (**أنا الآن أرسلك إليهم**) ليس إلا دعوى ادَّعاها بولس لنفسه، ليس عليها إثبات، وكل إنسان بمقدوره أن يدَّعيها، وسيتبين كذبه فيما قال قريبا.

وقال بولس في رسالته إلى أهل غلاطية (١/١، ١١-١٢):

«بولس، **رسول** لا من الناس ولا بإنسان، **بل بيسوع المسيح والله الآب** الذي أقامه من الأموات.

وأُعَرِّفكم أيها الإخوة **الإنجيل الذي بُشِّرتُ به**، أنه ليس بحسب إنسان.

لأني لم أَقْبَله من عند إنسان ولا عِلمته. بل **بإعلان يسوع المسيح**».

وقال كما في «أعمال الرسل» (٢١/٢٢) أن الله قال له: «اذهب، فإني **سأرسلك إلى الأمم بعيدا**».

وقال بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس (١:١):

«بولس، **رسول يسوع المسيح**، بحسب أمر الله مخلصنا، وربنا يسوع المسيح، رجائنا».

- **النتيجة**

كانت نتيجة دعوى بولس أنه رسول من عند المسيح وأن المسيح أوحى إليه إنجيلا أنه استحوذ على كل صلاحيات المسيح، وحلَّ محله في نظر الناس، كما أنه سَحب البساط من تحت تلاميذ المسيح الحقيقيين الذين تلقوا عن المسيح، لأنه صار في منزلة أعلى منهم، إذ ادَّعى أنه رسول، وبطبيعة الحال فإنه حلَّ محل المسيح في نظرهم، وصار عنده سلطات تشريعية وتنفيذية

[1] «شاول» هو اسم «بولس» الأصلي، وقد تسمى باسم «بولس» لاحقا.

كاملة ليضع ما شاء من العقائد، ويمحو ما شاء كما يحلو له، والناس صدقته في كذبه، تعالى الله عن إفك هذا الأفَّاك عُلُوًّا كبيرا.

وحجم دعوى بولس أن المسيح أوحى له إنجيلا يتضح من حجم رسائله الملحقة بالأناجيل الأربعة، والتي اتخذها المسيحيون دينا، فإن عدد الرسائل الملحقة بالأناجيل ثلاثا وعشرين، يوجد منها أربعة عشر رسالة منسوبة إليه، أي أن ما يعادل ٦١% من تلك الرسائل هي من وضع بولس!

- **تعليق على ما تقدم من النصوص التي تقرر انتقال بولس المفاجئ من العداوة للمسيح ودينه وأتباعه إلى رسول موحى إليه من قِبَلِ المسيح**

قال الشيخ متولي يوسف شلبي عن بولس: «وهنا يجد القارئ فجوة، وذلك أن بولس انتقل فجأة من عدوٍّ إلى نبي، ومن مُبغِضٍ إلى مُصَدِّر لما أبغضه.

فهل الله يختار أنبياءه من الأشرار أو الخصوم لدينه؟

وهل يمكن– من الناحية النفسية – أن ينتقل رجل من حالة عداوة شيء إلى حالة الإيمان به **طفرة واحدة**، فضلا عن أن يكون أحد أعمدة وأسس العقيدة التي كان يكفر بها ويقتل أصحابها ويزرع الفزع في قلوب معتنقيها؟»[1]

أترك الجواب للقارئ الكريم والقارئة الكريمة.

وقال الشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله – مستشهدا بما تقدم:

«إن ذلك الرجل الذي كاد للمسيحية هذا الكيد، وآذى أهلها ذلك الإيذاء، قد انتقل إلى المسيحية فجأة من غير مقدمات تقدمت ذلك الانتقال، ولا تمهيدات مُهِّدت له».[2]

- **النقطة الثالثة: دعوى بولس أن المسيح ابن الله، (تعالى الله عن أن يتخذ ولدا)**

جاء في أعمال الرسل (٩/٢٠-٢١) عن بولس: «وللوقت جعل يُكرِّز في المجامع بالمسيح: أن هذا هو **ابن الله**.

فبُهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا: أليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يَدْعُون بهذا الاسم؟ وقد جاء إلى هنا لهذا ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة؟!»

- **النقطة الرابعة: دعوى بولس أن المسيح هو الرب، (تعالى الله عن ذلك)**

جاء في كلام بولس أن المسيح هو الرب، قال في رسالته إلى أهل رومية (٩/١٠):

«وليس ذلك فقط، بل نفتخر أيضا بالله، **بربنا يسوع المسيح**، الذي نِلنا به الآن المصالحة».

---

[1] «أضواء على المسيحية»، ص ٨٦.

[2] «محاضرات في النصرانية»، ص ٧١، باختصار يسير.

وقال في (٥/١١) من الرسالة نفسها:

«لأنك إن اعترفت بفمك **بالرب يسوع**، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، **خلَصتَ**».

فماذا كانت النتيجة من تقرير بولس لهاتين العقيدتين بين بني إسرائيل؟

الجواب: بناء على هاتين العقيدتين اللَّـتين بثَّـهما بولس في بني إسرائيل (عقيدة أن المسيح هو الرب وابن الرب) فقد صار عند المسيحيين إلٰهان اثنان؛ الآب والابن، فصاروا يتوجهون إلى المسيح بالدعاء، ويعبدونه، بعد أن كانوا يعبدون الله وحده، **وبهذا التحريف دخل الشرك بثوب جديد في أتباع المسيح بغطاء ديني**، وسار هذا بينهم **بشكل غير رسمي وغير مُـلزِم**، واستمر الوضع هكذا بين مؤيد ومعارض، حتى تم فرض وتثبيت عقيدة تأليه المسيح وبُنُوَّتِهِ لله بعد ثلاثة قرون في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، أي بعد رفع المسيح بحوالي ٣٠٠ سنة، فصار الشخص المسيحي عندما يقول: الله، الرب، أو: يا إلٰهي، فإنه يعني المسيح عيسى ابن مريم.

- **النقطة الخامسة: دعوى بولس أن خطيئة أبيهم آدم باقية، وأن البشر توارثوها، وأن الله أرسل ابنه المسيح (فاديا) لِـيُـخلصهم من خطيئة أبيهم آدم، بأن يموت مقتولا مصلوبا، وبذلك يرضى الرب وتَتِم المصالحة بينه وبين البشر**

مقدمة

لم يكتفِ اليهودي بولس بما تقدم من تحريف في رسالة المسيح عيسى ابن مريم الصافية، والمتمثلة بدعوى أن المسيح ابن الله وأن المسيح أوحى إليه إنجيلا، بل أضاف عليها أمرا آخر، تطور فيما بعد حتى صار أحد المحاور والعقائد المهمة التي تدور عليها الديانة الجديدة التي اخترعها (بولس) وسميت فيما بعد باسم (المسيحية)، فقد اخترع بولس من مخالفة آدم وحواء لأمر ربهما وأكلِهما من الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها، اخترع من ذلك عقيدةً جديدة اشتُهرت باسم «الخطيئة» أو «المعصية الأولى»، حيث ادَّعى بولس أن تلك الخطيئة التي ارتكبها آدم كبيرة جدا، وأن الله لم يغفرها لآدم وحواء، وأنه لا يمكن لأي عدد من الحيوانات التي تُذبح كقرابين أن تُكَفِّر عنها، وأن البشر توارثوا هذه الخطيئة منذ عشرات القرون، قرنا بعد قرن، فلا يولد طفل إلا وهو حامل لهذا الذنب، وأن السبيل الوحيد لتكفير هذا الذنب هو أن الله أرسل ابنه الوحيد يسوع (عيسى) إلى الأرض بهيئة بشرية ليُقتَل على الصليب، ليكون هو الأضحية بحسب زعمه، ليُكَفِّر عن البشر تلك الخطيئة، فمن آمن بالمسيح أنه ابن الله وأن الله أرسله ليُكَـفِّر عن البشر ذلك الذنب فإن المسيح سيُخـلِّصه من هذا الذنب ومِن تبِعاته، ومن لم يؤمن فسيبقى مرهونا بذنبه وتكون عاقبته النار.

فراج هذا المبدأ على أجيال النصارى، ظانين أنهم فعلا توارثوا تلك الخطيئة، وأن طريق الخلاص من هذا الذنب لا يكون إلا باعتقاد أن اليسوع هو المُخَـلِّص، وأن اليسوع لن يخلص أحدا حتى يعبده ويتوجه إليه بالدعاء، ويعتقد أنه ابن الله وأنه هو المُخَلِّص والفادي من تلك الخطيئة.

والمسيحيون يعتقدون ذلك فعلا بالرغم من أنهم لا ذنب لهم في هذا التوارث المزعوم، وبالرغم من أن آدم قد تاب أصلا من ذنبه فَـغَـفَـرَ الله له وانتهى موضوع الخطيئة في حينه قبل قرون غابرة، **ولم يَـعُـد للذنب وجود!**

قال الباحث المتخصص الأستاذ عبد الوهاب بن صالح الشايع حفظه الله:

«بناء على ما عُرِف وشاع من قتلِ اليهود للمسيح على الصليب فقد جعل بولس من تلك الحادثة إحدى أهم العقائد في الديانة التي أخذ يُـنشئها ويُـشَـكِّلها بتؤدة على أنقاض ديانة ورسالة المسيح عليه السلام، مرتكزا على العقيدتين السابقتين اللتين أنشأهما وهما: عقيدة الخطيئة أو المعصية الأولى، وعقيدة تأليه المسيح وبُنُوَّتِهِ لله.

حيث زعم بولس أن من صفات الله سبحانه وتعالى **العدل والرحمة**، فبمقتضى **عدله** كان عليه أن يعاقب البشرية كلها على تلك الخطيئة والمعصية الأولى التي توارثوها عن أبويهم آدم وحواء، وبمقتضى **رحمته** كان عليه أن يغفر للبشرية تلك الخطيئة. ولما كانت تلك الخطيئة أو المعصية كبيرة جدا ولا يمكن لأي أضحية من الأغنام أو الأبقار أو غيرها من الحيوانات مهما بلغ عددها أن تُـكَـفِّر عنها فلم تكن هناك وسيلة أو سبيل أمام الله (سبحانه وتعالى عما يقولون) لتكفير تلك الخطيئة عن البشرية والجمع بين عدله ورحمته ومصالحته مع البشرية إلا أن يرسل الله (تعالى عما يقولون) ابنه الوحيد يسوع – عيسى ابن مريم عليه السلام – الذي تجسد بهيئة بشرية ونزل إلى الأرض لكي يُهان ويعذب ويقتل على الصليب وهو راضٍ، ليكون هو الأضحية أو الفادي أو المخلص الذي يَفدي ويُخَلِّص كلَّ من يؤمن بأن يسوع هو ابن الله الوحيد، وأنه قُتِل على الصليب ليفديهم بنفسه من تلك الخطيئة، ويصالحهم مع أبيه الله – سبحانه وتعالى عما يصفون – الذي كان غضبانا عليهم.

وأنه بعد أن دُفِن لمدة ثلاثة أيام بلياليها قام من الموت وقام لتلاميذه وغيرهم، وبعد أربعين يوما رُفِع إلى السماء وجلس على يمين الله، وإنه سيعود للأرض مرة ثانية ليُحاسب الأحياء والأموات.

وهذا هو التكييف أو التعليل الذي اعتمد عليه بولس لتأليه المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وقدَّمه إلى الوثنيين الأوربيين وغيرهم من شعوب الإمبراطورية الرومانية لا كرسول من الله (سبحانه وتعالى) إلى بني إسرائيل، **وإنما كابن لله نزل إلى الأرض** لكي يُهان ويُقتل على الصليب لكي يفديهم بنفسه وينقذهم من غضب أبيه الإله لكي يغفر لهم خطية أبيهم آدم وأمهم حواء التي توارثوها منهما فيما عُرِف عندهم باسم الخطيئة أو المعصية الأولى.

وبهذه العقائد الوثنية ازدادت أعداد الوثنيين الأوربيين وغيرهم الداخلين إلى هذه الديانة الجديدة القريبة من أفهامهم ومعتقداتهم وما اعتادوا عليه، والتي ستعرف فيما بعد باسم (المسيحية)».[1]

انتهى كلامه حفظه الله.[2]

مقتطفات من كلام بولس تثبت أن عقيدة الخطيئة الأولى وعقيدة الفداء إنما هما من كلامه وليست من تعاليم المسيح

رسالة بولس إلى أهل رومية (٣/٢٤ – ٢٥):

«مُـتبررين مجانا بنعمته **بالفداء** الذي بيسوع المسيح.

---

[1] ص ١٠٢ – ١٠٣ من كتاب: «تاريخ النصرانية – مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ».

[2] انظر لبيان خرافة هذه العقيدة كتاب «**أربعون دليلا على بطلان عقيدة توارث الخطيئة وصلب المسيح**»، تأليف: ماجد بن سليمان الرسي، وهو منشور في شبكة المعلومات بهذا العنوان.

الذي **قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه**، لإظهار بره، من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله».

رسالة بولس إلى أهل رومية (٥/٨ – ١١):

«ولكن الله بَـيَّـنَ محبته لنا، لأنه ونحن بعد خَطاةٍ **مات المسيح لأجلنا**.

فبالأولى كثيرا ونحن مُتبررون الآن بدمه **نخلص به** من الغضب.

لأنه إن كنا ونحن أعداء **قد صولحنا مع الله بموت ابنه**، فبالأولى كثيرا ونحن مصالحون **نخلص بحياته**.

وليس ذلك فقط، بل نفتخر أيضا بالله، **بربنا يسوع المسيح**، الذي نلنا به الآن المصالحة».

رسالة بولس إلى أهل رومية (١٠/٩):

«لأنك إن اعترفت بفمك **بالرب يسوع**، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، **خلَصتَ**».

وقال كما في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥/٣–٤):

«فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضا: **أن المسيح مات من أجل خطايانا** حسب الكتب.

وأنه دُفِـــن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب».

وقال كما في رسالته إلى أهل غلاطية (٤/٤ – ٥):

«ولكن لما جاء تمام الزمان، **أرسل الله ابنه** وقد وُلِد من امرأة **ليحرر بالفداء** أولئك الخاضعين للشريعة».

وقال أيضا **في رسالته إلى أهل غلاطية (٣/١٣):**

«المسيح افتدانا من **لعنة الناموس، إذ صار لعنةً لأجلنا**، لأنه مكتوب: ملعون كل من عُـلِّق على خشبة».

تعليق: تبين مما سبق من كلام بولس أنه هو واضع هذه العقيدة، عقيدة الخطيئة، وأنها ليست من عند الله، ولو أنها كانت مِن عند الله لقررها المسيح نفسه، لأنه رسول من عند الله، يبين للناس أمور دينهم.

فإذا تبين أنها عقيدة مخترعة من عند بولس فإنه يبطل بذلك ما بعدها، وهي عقيدة التحرر من الخطيئة، بكون المسيح كان فاديا ومخلصا للناس من تلك الخطيئة المزعومة.

كما تبطل بذلك عقيدة صلب المسيح التي جاء بها بولس، ويبقى الحق الذي قررته الأناجيل ثم القرآن بأن الله رفع المسيح إلى السماء دون أن يَمَـسَّهُ أذى.[١]

ثم تأمل أيها القارئ الكريم بُـغض بولس للتوراة، كيف أنه وصف الناموس (الذي هو التوراة) بأنه لعنةً.

وانظر أيضا إلى وصفه للمسيح بأنه لعنة، وذلك في قوله (صار لعنة لأجلنا)!

ثم بعد ذلك يقول هذا الخبيث مخادعا للناس أن المسيح أوحى إليه، وأنه نبي أرسله المسيح إلى الناس.

ثم انظر إلى المسيحيين كيف يُصدقونه ويُعَظِّمونه فيما ادَّعاه لنفسه بأنه رسول!

خلاصة مهمة في بيان دور بولس في تحريف دين المسيح

حَـوَّل بولس عقيدة الناس في المسيح من نبي مُرسل من الله برسالةٍ تابعة لشريعة موسى، وخاصةٍ إلى قومه بني إسرائيل فقط؛ حوَّل ذلك في نظرهم إلى أنه ابن لله، تجسد بهيئة بشرية، ونزل إلى الأرض.

---

[١] سيأتي تقرير ذلك في الملحق الرابع: «قصة مريم العذراء وابنها المسيح عيسى ابن مريم» – رَفْـعُ المسيح دون أن يَمَـسَّهُ أذى.

ثم قدم بولس هذه الصورة إلى الوثنيين الرومان، من رعايا الإمبراطورية الرومانية الذين يؤمنون أصلا بتعدد الآلهة ونزولها إلى الأرض وحياتها بين الناس على هيئة بشرية، فتقبلوا ما قدمه لهم بولس، كآلهة إضافية نزلت من السماء، وعاشت بين الناس، ثم قُتلت على الصليب، فلم يكن عند الرومان تَحَفُّظ على ما طرحه بولس أبدا، لأن العقيدة التي طرحها قريبة من معتقداتهم وأفهامهم، ولا تحتاج إلى بذل جهد لإقناعهم في إضافتها إلى ما عندهم من عقائد.

وسيأتي في خاتمة هذا الكتاب ملحق لطيف فيه بيان لعقائد الرومان في ذلك الزمان، قبل دخولهم في الدين الذي قدمه بولس لهم، ليتضح للقارئ الكريم والقارئة الكريمة كيف استطاع بولس بكيده الخفي ضرب عصفورين بحجر واحد؛ إفساد دين المسيح من جهة، وإدخال الرومان في الدين الفاسد الذي كوَّنه من جهة أخرى.

ومِمَّا مهَّد الطريق أمام بولس لإجراء هذا التحريف والتبديل أنه لم يكن أمام بولس من يردعُه، فالمسيح لم تكن له دولة تحميه وتنصر دينه، فقد كان الرومان الوثنيون هم السلطة القائمة، وتلاميذ المسيح أصابهم الذعر وتفرقوا بعد هجوم اليهود مؤيدين بالشرطة الرومانية على المكان الذي كان فيه المسيح، فانتهاء وجود السيد المسيح على الأرض فجأة وبهذا الأسلوب العنيف تسبب في وجود صدمة نفسية قوية على تلاميذ المسيح وأتباعه، الضعفاء ماديا ونفسيا وعلميا، الذين ليس بينهم تلميذ واحد له نفوذ ووجاهة بحيث يمكن اللجوء إليه، ثم هُم واجهوا اضطهادا بعد ذلك من اليهود، فصار هَمُّ أولئك التلاميذ هو نفوذ الواحد منهم بجلده من أن يحصل له تعذيب وملاحقة إن هو واصل نشر تعاليم المسيح بعد رفعه، فابتعد التلاميذ عن هذه الفكرة تماما، مما أدى إلى إضعاف نشر رسالته ودينه على المستوى العام، وتهيئ الفرصة لبولس للبدء في نشر بضاعته الفاسدة المتمثلة في تعاليم محرفة تحمل اسم المسيح من الخارج، وفي باطنها تخالف وتناقض تعاليم المسيح ودينه جملة وتفصيلا.

- **النقطة السادسة: إثبات كذِب بولس في دعواه أن المسيح أرسله وغيرها من الدعاوى يتضح في تسع نقاط:**

١. أن بولس **غير اسمه** من شاول إلى بولس الرسول، فلماذا هذا التغيير؟
٢. لو كان بولس **رسولا فعلا** لأكمل مسيرة المسيح العلمية كما هي، ولعلم الناس التوراة والإنجيل كما كان المسيح يفعل ولم يأتِ بشيء جديد، ولكن الواقع أنه أتى بشرائع جديدة وعقائد جديدة **تخالف** تعاليم المسيح، وهي (المعصية الأولى، الصلب، ألوهية المسيح، بُنُوَّة المسيح لله، دعواه أن المسيح أرسله، إلغاء النبوة عن المسيح).

فهذا يدل على أن بولس كاذب في دعواه أنه رسول من عند المسيح، لأنه نقض ما قرره المسيح جملة وتفصيلا، فكيف يكون رسولا من عنده، ثم يهدم وينقض ما جاء به؟!

ولكن الحق أن المسيح لم يُبَشِّر ببولس، وهذه الأناجيل الأربعة التي كتبها من جاء بعد المسيح شاهدة على ذلك، وقد ورد في إنجيل متى ثلاثة نصوص عن المسيح في التحذير من الذين سيدّعون النبوة بعده، انظر إنجيل متى (٧/١٥، ١٦، ٢٤/١١، ٢٤/٤-٥).

فائدة

الأناجيل تبشر بالنبي الحقيقي وهو محمد، نبي الإسلام، والبشارات بقدومه مدونة فيها وفي غيرها من المراجع الإنجيلية، والتي تحوي ما يقرُب من الثلاثين بشارة.[١]

[١] انظر هذه الأدلة الإنجيلية في كتاب: **The amazing prophecies of Muhammad in the Bible**

٣- لو كان ما قاله بولس حقا من أن **المسيح ابن الله** لأخبر بذلك المسيح قبله، فهو أولى بذلك من بولس، لأنه شرفٌ له لو كان حقا، ولأن المسيح لن يكتم الحقيقة عن الناس، ويدعُها لمن بعده، مع عدم وجود الداعي لذلك، لاسيما وقد جاء المسيح لهداية الناس وإرشادهم، وليس لتركهم يعيشون في دوامة من الألغاز.

٤. المسيح رسول من الله، وبناء عليه فإنه ليس لديه الصلاحية ولا القدرة على أن يُـعَـيِّـن أحدا من عند نفسه، لأن اختيار الأنبياء يكون من عند الله، وليس من عند الرسول، فالله يصطفي ويختار من الناس رسلا كما يشاء، وإلا فما مكانة الرب إذن؟

وبناء عليه فادعاء بولس أنه رسول من عند المسيح هو محض اختلاق وافتراء.

٥. الأنبياء هم صفوة الناس وخيارهم، فالمسيح من أم طاهرة تقية نقية، وهي مريم هي بنت عمران، وعمران من أهل العبادة والخير والصلاح، ونسبُهم ينتهي إلى إسرائيل (يعقوب)، نبيا من الصالحين.

أما بولس فهو رجل ولَغت يده في دماء أهل الخير، وسجَنهم وعذَّبهم، فأين هو والنبوة؟!

٦. مما يدل على بطلان دعوى بولس أنه رسول هو خبثُ شخصيته، **فالغاية عنده تبرر الوسيلة**، فلأجل تحقيق غايته فإنه يفعل أي شيء، وهذه الشخصية الانتهازية ليست شخصية نبي، حاشاهم من ذلك، فإن الأنبياء هم أزكى الناس نفوسا وأطهرها، وقد فضح بولس نفسهُ بنفسه في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، (٩/١٩- ٢٣):

«فإني إذ كنت حرا من الجميع، استعبدت نفسي للجميع **لأربح الأكثرين**.

فصرت **لليهود كيهودي** لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس[١] **كأني تحت الناموس** لأربح الذين تحت الناموس.

وللذين بلا ناموس **كأني بلا ناموس** – مع أني لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس للمسيح – لأربح الذين بلا ناموس.

صرت **للضعفاء كضعيف** لأربح الضعفاء. صرت **للكل كل شيء**، لأخَلِّص على كل حال قوما.

وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل، **لأكون شريكا** فيه».

انتهى كلامه.

التعليق:

هل يليق هذا الكلام بصاحب دعوة دينية من عند الرب (الله) سبحانه وتعالى؟

أم أن هذا الكلام يليق بشخص انتهازي من الطراز الأول؟

٧. ومن دلائل كذِب بولس أن دعوة المسيح كانت موجهة إلى بني إسرائيل فقط، أما بولس فوسَّع الدائرة من عند نفسه، ودعا الوثنيين إلى دينه الذي أنشأَهُ، فزعَم أن دين المسيح عالمي للناس كلهم ليدخلوا فيه، ففي إنجيل متى (١٥/٢٤) أن يسوع قال: «**لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة**».

وهذا الكتاب منشور بهذا العنوان في شبكة المعلومات.

وانظر أيضا كتاب «البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب» (٩٩ دليلا على وجود النبي المُـبَـشَّر به في التوراة والإنجيل)، تأليف د. صلاح الراشد، الناشر: دار ابن حزم – بيروت.

[١] الناموس هو التوراة وشرائعها.

بينما في «أعمال الرسل» (٢١/٢٢) أن الله قال لبولس: «**اذهب، فإني سأرسلك إلى الأمم بعيدا**».

فانظر أيها العاقل إلى الفرق بين كلام يسوع النبي الحقيقي، وبولس المُدَّعي للنبوة.

فتبين من هذا إفك بولس وافتراؤه.

٨. ومما يدل على غِش بولس وتحريفه لدين المسيح أنه قام بإجراء تنازلات دينية عديدة بإلغاء تعاليم مذكورة في شريعة التوراة تدريجيا لِيُرَغِّب المدعوين الجدد وهم الوثنيون الرومان في الدخول في دينه، حتى لا يشق عليهم الدخول فيه، فبدأ بإلغاء شريعة الختان عن الوثنيين الذكور كما في رسالته إلى أهل غلاطية (١٥/٦)، وحَـلَّل لليهود أكل ذبائح الوثنيين، وأكل لحم الخنزير، وحلّل الزواج المختلط بين اليهود والوثنيين، وألغى جميع أنواع الطهارة الجسدية التي تتشدد بها التوراة، كل هذا من أجل أن يستميل الرومان للدخول في الدين الجديد الذي قدَّمه لهم، وذلك أن نفوسهم غير قابلة للانقياد لشرائع سماوية، فهم وثنيون، عُبَّاد أصنام، لا يُحِـلُّون حلال ولا يُحَرِّمون حراما، ولا يؤمنون بأنبياء، فأسقط عنهم شريعة التوراة حتى يُـرَغِّبهم في الدخول في دينه!

وبولس بهذا التصرف جعل نفسه ربا، يُـشَـرِّع ما شاء من الشرائع، ويُسقط ما شاء، وليس فقط نبيا كما زعم! إذ أن التحريم والتحليل من عند الرب وليس من عند الرسول، لأن الرسول وظيفته تبليغ الشريعة عن الرب، وليس إنشاء شريعة جديدة أو التصرف بشريعة قائمة كما فعل بولس.

ثم جاءت الخطوة الثانية الكبيرة فألغى هذا الخبيث **ما تبقى من التوراة** لكي يزيل هذه العقبة الكئود من أمام الوثنين للدخول في دينه الذي اخترعه لهم على أنقاض دين المسيح، فقد قال في رسالته إلى أهل روما (٦/٧):

«**وأما الآن فقد تحررنا من الناموس**[١]، إذ مات الذي كنا ممسكين فيه، حتى نعبد بِجِـدَّة الروح لا بعتق الحرف.

فماذا نقول؟ هل الناموس خطية؟ حاشا بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس».

التعليق:

كما ترى أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة، فإن بولس لم يكتفِ بإلغاء التوراة، بل اتهمها بأنها هي مصدر معرفة الخطأ والزلل، كما في قوله (لم أعرف الخطية إلا بالناموس).

٩. ومن أعظم الأدلة على غِش بولس للناس أن إلغاءه للتوراة مناقض للغاية التي جاء المسيح من أجلها، فقد قال المسيح إنه لم يأت ليُلغي التوراة، بل جاء ليُتَمِّم ويُكَمِّل، كما جاء في إنجيل متى (١٧/٥-١٩) أن المسيح قال:

«لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلَّم الناس هكذا يُدعى أصغر في ملكوت السماوات، وأما من عمِل وعلَّم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السماوات».

[١] تقدم قريبا أن الناموس هو التوراة وشرائعها.

فإذا كان المسيح قد حذَّر من مجرد تحريف حرف أو نقطة في التوراة والإنجيل، وقال إن من فعل هذا فإنه يُدعى أصغرا في ملكوت السماوات والأرض، **فماذا يقال في حق بولس الذي أسقط التوراة برُمَّـتِها؟!**

إن إلغاء بولس للتوراة بحد ذاته يعتبر جناية عظيمة على دين المسيح، ودليل عظيم على كذب بولس، فليت جمهور القساوسة يعلمون ذلك ويُعَلِّمونه للناس بدلا من تقليد من سبقهم من القساوسة، وإضلال من تبِعهم من الناس (الرعية)، فإن هذا لا يحصل به إلا الزيادة في الإثم والعذاب عليهم جميعا يوم القيامة.

النتيجة المؤلمة لدور بولس

وبهذه الأكاذيب الخبيثة، والمكر اليهودي العظيم، استطاع الخبيث بولس أن يقلب دين المسيح رأسا على عقب، وأن يُدخل فيه ما ليس منه، **وأن يُحوِّل دين المسيح من التوحيد إلى التثليث**، فما كان من جمهور النصارى إلا أن صدَّقوا بولس فيما زعمه، وابتدأ التقليد الأعمى له إلى يومنا هذا، وانسلخ أتباع المسيح من عبادة الخالق – وهو الله – إلى عبادة المخلوقين – وهو المسيح عيسى ابن مريم وأمه –، ومن تعظيم الله ووصفه بالغِنَى عن مخلوقاته، إلى وصفه بالحاجة لهم بدعوى أنه اتخذ صاحبة وولدا من مخلوقاته!

ويمكن تلخيص دور الخبيث بولس في تحريف دين المسيح في خمس نقاط:

١. ادّعى بولس أنه رسول معين من قِبل يسوع.

٢. ادّعى بولس أن اليسوع أَوحى إليه إنجيلاً.

٣. ادّعى بولس أن يسوع ابن الله.

٤. ادّعى بولس أن خطيئة أبينا آدم وأمنا حواء لم تُغفر، وأن البشرية توارثتها عبر القرون، وهي المعروفة بـ «الخطيئة» أو «المعصية الأولى».

٥. ادّعى بولس أن يسوع أرسله الله فنزل إلى الأرض ليُصلب ويتعذب فداء للبشرية من خطيئة أبَويهم آدم وحواء.

وهكذا أخرج الخبيث بولس جماهير النصارى من دين المسيح الحقيقي الذي يدعو إلى عبادة الله وترك عبادة من سواه، إلى دين لا يَمُت لدين المسيح بصلة، ألا وهو الوثنية، التي هي عبادة الأوثان (وهي الجمادات التي لا تدب فيها الحياة، مثل الأحجار والصور والقبور والصلبان)، وعبادة البشر (كالمسيح وأمه، وعبادة القساوسة).

وبعبارة مختصرة فإن دين المسيح تحول على يد بولس من عبادة الخالق إلى عبادة المخلوق، ومن اتِّباع النبي الحقيقي وهو المسيح، إلى اتِّباع مدَّعٍ للنبوة وهو بولس.

وقد بقي بولس في مهمته (مهمة تشويه دين المسيح) بعد رفع المسيح ما يزيد على ثلاثين سنة، وكانت بدايته بعد رفع المسيح بثلاث إلى خمس سنوات، أي ما بين عامي ٣٣–٣٨م على وجه التقريب واستمرت حتى سنة ٦٧م، أي نحو ثلاثين سنة، حين تم إعدامه في روما على يد الإمبراطور نيرون، الذي اتهم المسيحيين بإحراق مدينة روما، فقتل نيرون بولس ومعه

(بطرس) كبير تلامذة المسيح بحسب وصف الأناجيل له، فأعدمهما صَلبا، ثم تفنن نيرون في تعذيب المسيحيين، ومن ذلك أنه جعلهم طعاما للكلاب الجائعة، وصَبَّ الوقود على آخرين، وجعلهم مشاعل لباب قصره.

فانظر كيف عاقب الله هذا الفاجر بولس في الدنيا، وكيف انقلبت عليه مجاملة الرومان على حساب المسيح ودينه، ففي بداية أمره كان يُعذب أتباع المسيح ويسجنهم، ثم دخل دين المسيح نفاقا، ليفسد دين المسيح من الداخل، وليجعله دينا صالحا للوثنيين لأن يدخلوا فيه، فكانت النهاية أن سحقه رأس الوثنيين (نيرون) سحقا، فصار عبرة لمن بعده، ولم ينفعه أن حرف دين المسيح للوصول إلى رضاهم على حساب رضا الله سبحانه وتعالى.

وبهذا انتهت المرحلة الأولى من مراحل تحريف دين المسيح على يد بولس، فبولس ومن جاء بعده من رجال الدين مِمَّن نشروا دينه وبشَّـروا به — بحسب تعبيرهم – سيحملون إثم الأجيال الذين اعتنقوا هذا الدين بسببهم إلى يوم القيامة، فلينظر القسيس العاقل (وغير القسيس) إلى أين هو ذاهبٌ بالناس، إلى الجنة أم إلى الجحيم.[1]

فائدة

ليس بعجيب سرعة حصول هذا الإفساد الذي قام به بولس، والذي حصل في خلال ثلاثين سنة من حياته، لأنه إفساد من الداخل، فقد تظاهر هذا الخبيث بالدخول في دين المسيح، وأنه نبي من عند الله، فصدقه الناس، فأدخل بضاعته الفاسدة، فراجت عليهم، وأفسد دين المسيح الواضح النقي الذي يدعو إلى عبادة الله وحده، وجعله مزيجا من العقائد الوثنية باسم المسيح، وليس هذا الإفساد بهذه الجرأة بغريب على اليهود، فهم الذين هموا بقتل المسيح، وأي جرأة أعظم من هذه، فإذا كان هذا منهم مُستساغ فكيف لا يجرؤون على إفساد دينه؟

مكانة بولس في المسيحية

بناء على ما تقدم فإن بولس هو المؤسس الحقيقي للديانة المسيحية **الحالية**، وتنتسب إليه قولا وعملا، وليس إلى المسيح عيسى ابن مريم، وإن كانت تُسمى «المسيحية»، فهو واضع بذرتها التي سقتها المجامع الكنائسية فيما بعد بدعم الرومان لتزداد تحريفا وضلالا، فبولس هو **الطامة الأولى** على دين المسيح، وهو الذي **أفسده وأخرجه عن إطاره تماما إلى إطار الوثنية، المتمثلة في عبادة الأصنام والأحجار والتماثيل والصُّوَر والصُّلبان والأشخاص من الأنبياء والكُهَّان.**

قال (جوستاف لوبون)[2]: «كان القديس بولس مفطورا على فرط الخيال، وكانت نفسه مملوءة بذكريات الفلسفة اليونانية والأديان الشرقية، فأسَّس باسم يسوع دينا، لا يفقهه يسوع لو كان حيا».[3]

---

[1] انظر تفصيل دور بولس في تشويه دين المسيح في كتاب: «تاريخ النصرانية — مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، ص ٩٣ وما بعدها، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع.

[2] تقدم التعريف به.

[3] كتاب «حياة الحقائق»، ص ٦٣.

وقال: «إن بولس أسَّس باسم يسوع دينا لا يفقهه يسوع لو كان حيا، ولو قيل للتلاميذ الإثني عشر (إن الله تجسد في يسوع) ما أدركوا هذه الفضيحة القطعية، ولرفعوا أصواتهم مُحتجين».[1]

وقال «مايكل هارت»[2]: «إن القديس بولس هو المُطوِّر الحقيقي للنظرية المسيحية، وهو المُغَيِّر لأصولها، وهو المؤلف لجزء كبير من العهد الجديد».

"St. Paul was the main developer of Christian theology, its principal proselytizer, and the author of a large portion of the New Testament".[3]

وبناء على ما تقدم فمؤسس الديانة المسيحية بشكلها وتركيبتها الحالية هو بولس قطعا وليس المسيح.

موقف المسيحيين من بولس

المسيحيون يُعظمون بولس تعظيما شديدا، ويعتقدون أنه رسول فعلا كما قال هو عن نفسه، ويسمونه «رسول الأمم»، وله كنائس عدة، منها كنيسة بولس في روما، وهي ثاني أكبر كنيسة هناك، وفيها من النقوش والزخارف العمرانية الشيء الكثير، وفي مقدمة الكنيسة تمثال كبير له، وكل هذا لا يمت لدين المسيح الأصلي بصلة، إذ أن المسيح جاء ليخرج الناس من عبادة غير الله إلى عبادة الله، وتطبيق ما جاء في الإنجيل، فتحول دينه إلى ما ترى أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة، تحول إلى عبادة صور وتماثيل وبراويز، وفي الكنائس تدور كؤوس الخمر، وتحصل العلاقات المحرمة بين القساوسة والراهبات، ويحصل الرقص وعزف الموسيقى، مما هو مناقض لدين المسيح وتعاليمه من جميع الوجوه.

***

---

[1] كتاب «حياة الحقائق»، ص ١٨٧.

[2] مايكل هارت، فيزيائي فلكي يهودي أمريكي، ولد سنة ١٩٣٢، وهو صاحب كتاب «**الخالدون المئة**» الذي نقلنا منه كلامه، والاسم الأصلي للكتاب بالإنجليزية:

The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History

وفي هذا الكتاب رتب مايكل أسماء أكثر الشخصيات تأثيراً في التاريخ بحسب عَظمة التأثير، وقد جعل على رأس قائمة المؤثرين في المرتبة الأولى شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد ضمت قائمته أسماء أنبياء كعيسى وموسى عليهما السلام، كما ضمت أسماء مؤسسي الديانات الوضعية ومبتكري أبرز الاختراعات والاكتشافات التي غيرت مسار التاريخ، مثل مكتشف الكهرباء ومخترع الطائرة وآلة الطباعة، وأيضا أسماء كثير من المفكرين وغيرهم.

انظر ترجمته في Wikipedia.

[3] *From: "The 100, a Ranking of the Most Influential Persons in History", by Michael H. Hart.*

٢٩. الدليل التاريخي الثاني على تحريف دين المسيح[١]

تقدم في النقطة الثامنة والعشرين بيان الدور التاريخي لليهودي شاول (والذي سمى نفسه لاحقا «بولس») في تحريف دين المسيح، والتي يُمَثِّل المرحلة التاريخية الأولى في تحريف دين المسيح، واللبنة الأولى فيه.

وفي هذه النقطة سنبين بإيجاز **المرحلة التاريخية الثانية** في تحريف دين المسيح، والتي تمت فيها **عشرة تحريفات إضافية لدين المسيح**، وكان ذلك على يد المجامع الكنائسية التي ضمت جمعا غفيرا من الأساقفة والبطاركة ورجال الدين، وقد حصلت تسعة من تلك التحريفات في القرون الستة الأولى، في ظل الدولة الرومانية، ثم لما سقطت الدولة الرومانية بسبب عوامل التفكك وهيمنت الكنيسة الكاثوليكية على أوربا بعد ذلك ولمدة عشرة قرون، تُسمى عندهم القرون الوسطى المظلمة، حصل في مطلع القرن السادس عشر الانقسام الكبير الأخير في الكنيسة الكاثوليكية ونشوء طائفة البروتستانت، فكان هذا هو التحريف العاشر والأخير في دين المسيح إلى تاريخ كتابة هذه الأسطر، والله أعلم هل سيحصل في المستقبل تحريفات وانقسامات جديدة أم لا.

التحريف الكنائسي الأول

في مطلع القرن الرابع الميلادي اشتد النزاع وثارت نيران الخلاف بين القساوسة المسيحيين حول شخص المسيح، أهو إنسان أم إله، وذلك أن قِسًّا مصريا يدعى (آريوس) تقدم برأيٍ إلى كنيسته قال فيه بأن الله واحدٌ وليس له ابن، واحتج على هذا بحُجج عقلية صحيحة، فنشأ خلاف في الكنيسة المصرية، ثم امتد الخلاف إلى الكنيسة العامة في روما، فحصلت إشكالات كثيرة بين رجال الدين المسيحي ما بين مؤيد ومعارض، وكانت الإمبراطورية الرومانية هي الحاكمة في ذلك الزمان، ولم تكن معتنقة للديانة المسيحية آنذاك، بل كانوا وثنيين، عندهم عدد من الآلهة يعبدونها، آلهة للزرع، وآلهة للعسكر، وآلهة للماشية، وهكذا، ولم يكونوا يؤمنون بنبي ولا بدين سماوي، فالحاصل أن الإمبراطور الروماني قسطنطين قام بمحاولة لوَأْدِ هذا الخلاف الذي سيُفرق الأمة ويهدد الأمن الداخلي، فأمر بعقد مجمع عام للأساقفة والبطاركة في أحد قصوره في مدينة نيقية – قرب مدينة اسطنبول حاليا – وذلك في عام ٣٢٥م، فاجتمعوا وكان عددهم ٢٠٤٨، وكان منهم ٣١٨ يقولون بألوهية المسيح، والبقية وعددهم ١٧٣٠ يقولون بأن المسيح بشر.

ونظرا لأن قسطنطين كانت عقيدته وثنية من الأصل فإنه مال إلى قول القائلين بألوهية المسيح وأنه ابن الله مع أنهم الأقل عددا، فنصرهم نصرا مؤزرا، فقرر المجمع ألوهية المسيح وأنه ابن الله، وذلك بعد اجتماعات دامت أكثر من ثلاثة أشهر، وجعلوه من ضمن قانون الإيمان المسيحي الذي أصدره المجمع، فانقلبت الكفة لصالح القائلين بألوهية المسيح بقوة السلطان بعد أن كانوا أقلية، **ورُفع الستار رسميا عن مسيحية بولس**، الذي هلك قبل نحو ثلاثة قرون من هذا الحدث، ووحَّد

---

[١] للأمانة العلمية فقد استفدت جُل المعلومات المذكورة في هذه النقطة والتي تليها من كتاب: «تاريخ النصرانية – مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، المبحث الرابع والسادس، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع.
وينظر للاستزادة كتاب «التغييرات والتطورات التدريجية التي حدثت لرسالة يسوع بعد رفعه على مدى عدة قرون»، وهو منشور بهذا العنوان في شبكة المعلومات.

قسطنطين جبهته الداخلية على حساب دين المسيح الأصلي، لمصلحة توحيد مملكته ووأد الخلاف فيها، وليس هذا بغريب على أمثاله مِمَّن الغاية عندهم تبرر الوسيلة، فإن هدفه هو توحيد الكنيسة وعدم حصول الانقسامات فيها، فمنع قسطنطين القول الذي جاء به آريوس، أي القول بأن المسيح بشر وليس إله، ونفاه ومن معه خارج البلاد، وأصدر مرسوما بحرق كتبه، ومن احتفظ بشيء منها فإن عقوبته الإعدام، وجعل القول المعتمد بين اليهود والمسيحيين هو القول الذي ينص على أن **اليسوع إله وابن الإله**، وبعبارة أخرى فإن قسطنطين أجبر الناس على الدخول في المسيحية الجديدة، وقد كان هذا من أعظم الطوام في دين المسيح، **وهو الطامة الثانية** على دين المسيح بعد طامة تحريف بولس لها.

يُلاحَظ أن قسطنطين فعل هذا قبل أن يتنصَّر، أي لم يكن معتنقا للمسيحية آنذاك، ثم دخل المسيحية بعد مجمع نيقية بسنوات.

تشييع رسالة السيد المسيح رسمياً

وبناء على نتائج هذا المؤتمر انقلبت الكفة لصالح مؤلِّهي السيد المسيح **بعدما كانوا أقلية**، وتحوَّل رجل الدين المُوحِّد الأسقف آريوس ومن معه من معارضين لبطريرك كنيسة الإسكندرية، إلى معارضين للإمبراطور الروماني الوثني قسطنطين، **وخارجين عن النظام العام للإمبراطورية الرومانية**.

وفي ذلك المجمع الوثني الكئيب والمشئوم، تكُون الإمبراطورية الرومانية، ممثَّلة بالإمبراطور قسطنطين، قد شَيَّعت رسمياً رسالة السيد المسيح، بعد **حوالي ثلاثة قرون من رفعه**، ورفَعَت الستار رسمياً عن مسيحية شاول (بولس الرسول)، والتي تنص على أن **المسيح إله وابن الإله**، ولم يكن هذا الاعتقاد مفروضا من قبل، بل لم يكن متفقا عليه من قِبَل القساوسة، فحقق الإمبراطور الروماني الوثني قسطنطين **قصده السياسي** بتوحيد الجبهة الداخلية واستتباب الأمن الداخلي بفرض هذه العقيدة التي كانت محل خلاف داخلي، لكي يتفرغ لمواجهة منافسيه على السلطة في الداخل والأعداء الخارجيين، وبناء عليه فقد كانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية لضبط الجبهة الداخلية، يدل لهذا بكل وضوح أنه لم يكن مسيحيا آنذاك.

قال (وِل ديورانت)[1] إنه بفضل جهود قسطنطين "أضحت المسيحية دولة ودينا، وأمست هي القالب الذي صُبَّت فيه الحياة الأدبية والفكر الأوربي على مدى أربعة عشر قرنا[2]".[3]

تنبيه

لم يستطع مجمع نيقية القضاء على الوحدانية، التي كان يدعو لها الأسقف آريوس، **فقد كان التوحيد هو الغالب بين المسيحيين في القسطنطينية وأنطاكية وبابل والإسكندرية وأسيوط وبيت المقدس وقيصرية فلسطين وصُور**، ومع ذلك

---

[1] «وِل ديورانت»، (١٨٨٥ – ١٩٨١م)، فيلسوف ومؤرخ وكاتب أمريكي، من أشهر مؤلفاته كتاب «قصة الحضارة»، والذي شاركته زوجته أريل ديورانت في تأليفه. (المصدر: Wikipedia).

[2] توفي (وِل) عام ١٩٨١م، وبناء عليه فهو يقصد بقوله (على مدى أربعة عشر قرنا) أي القرن السادس الميلادي وما بعده.

[3] «قصة الحضارة» (٤٠٣/١).

فقد أخذ الأساقفة غير المُوحِّدين يسيطرون على المسيحيين بالرؤى والأحلام حتى اختفى مذهب التوحيد[1]، ولم يبقَ على الساحة إلا **مذهب تأليه المسيح**.[2]

ويا للعجب! لم يتفق القساوسة على أن المسيح ابن الله إلا بعد ٣٠٠ سنة من رفع المسيح!

فهل يمكن أن تكون هذه العقيدة صحيحة بعد هذه الفترة الزمنية البعيدة، ولا تكون صحيحة أثناء وجود المسيح على الأرض!؟

قرارات أخرى لمجمع نيقية

تقدم ذكر أن القرار الرئيس لمجمع نيقية هو اعتماد ألوهية المسيح، وأنه ابن الله، وقد صحب هذا القرار قرارات بشرية أخرى مدمرة لدين المسيح، وهي:

١. اعتماد أربعة أناجيل فقط، يطلق عليها اسم «العهد الجديد»، واعتُبرت الأناجيل الأخرى التي كان عددها يربو على السبعين إنجيلاً – ومنها أناجيل المُوحِّدين، مثل إنجيل برنابا – مزيفة وغير قانونية ومحرمة، يجب إحراقها على الفور، ومنع اطلاع المسيحيين عليها، وجعل عقوبة من توجد بحوزته الإعدام.

٢. اعتمد هذا المجمع ست عشرة رسالة فقط من رسائل من يدعونهم **بالرسل**، اعتبرها المجمع صحيحة، سواء في ما يخص محتوياتها أو في نسبتها إلى مؤلفيها، وألحقَها بالأناجيل الأربعة، واعتبر ما عداها من الرسائل مزيفة ومدسوسة على مؤلفيها.

وقد جاءت مجامع أخرى بعد هذا المجمع، واعتمدت سبع رسائل إضافية وألحقتها بالأناجيل، كان مجمع نيقية قد رفضها، واعتبرها مزيفة ومنحولة على مؤلفيها.

٣. قام مجمع نيقية برفض بعض كتب العهد القديم – التوراة والكتب التابعة لها – حيث اعتبرها مزيفة ومدسوسة، ثم جاءت من بعده مجامع أخرى أعادت الاعتراف بتلك الكتب.

٤. تم لعن وطرد وحرمان المخالفين لقرارات هذا المجمع من حظيرة الكنيسة، وعلى رأسهم الأسقف المصري المُوَحِّد (آريوس) الذي قال بوحدانية الله، وحرْقُ كتبه، وإعدامُ من توجد بحوزته.

٥. تقرر منْعُ زواج الرهبان، وقد كان ذلك القرار المناقض للفطرة السليمة سبباً لمآسٍ ومشاكل جنسية لأولئك الرهبان لا حصر لها **منذ ذلك اليوم وإلى يومنا هذا، والمتمثل في العلاقات السرية القذرة بين الرهبان والراهبات في الكنائس.**

وقد وصَفَ القرآن الكريم المسيحيين لما شددوا على أنفسهم بتشريع شرائع لم ترد في الإنجيل ومنها منع الزواج على أنفسهم فقال:

﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها﴾.

---

[1] أي مذهب القول بأن الله واحد.

[2] انظر كتاب «محاضرات في النصرانية» لمحمد أبو زهرة، ص ١٢١ وما بعدها، وكتاب «الروم» لأسد رستم، (١/٦٠، ٦١).

وتفسير الآية: ابتدع من يدَّعون أنهم أتباع المسيح رهبانيةً بالتشدد في العبادة، ما فرضناها عليهم، بل هم الذين التزموا بها من تلقاء أنفسهم، قَصْدُهم بذلك رضا الله، وهذه الرهبانية في الحقيقة ليس لها علاقة برضا الله، لأن الله لم يأمر بذلك على لسان نبيه المسيح عيسى ابن مريم، فكيف يكون فعل ما لم يأمر به الله سببا في رضا الله؟

أعمال أخرى قام بها قسطنطين لما دخل في المسيحية

يذكر المؤرخ المسيحي سعيد بن البطريق فائدة تاريخية تتعلق باستعمال قسطنطين قوته كسلطان في نشر المسيحية، قال فيما معناه:

لما تنصَّر[1] الإمبراطور قسطنطين بعد مجمع نيقية بسنوات، أمر بكسر الأصنام وقتَلِ من يعبدها، وحَصَر قيادة الجيش بالنصارى.

ثم أمر أن يُبحث عن مكان قبر المسيح وصليبه، فقامت أمه هيلانة – أو هلينا – بتلك المهمة بنفسها، وسافرت إلى بيت المقدس، حيث بنت كنيسة القيامة – لا تزال موجودة إلى اليوم – على المكان المزعوم أن السيد المسيح قد قُبِر فيه لمدة ثلاثة أيام قبل أن يقوم من قبره، ولذلك سميت هذه الكنيسة بـ «كنيسة القيامة»[2].

وبحثت هيلانة عن الصليب الذي زُعِم أن السيد المسيح قد صُلب عليه وكان مدفوناً، وعادت به إلى ابنها الإمبراطور قسطنطين بعد أن غلَّفته بالذهب، ثم أمر الإمبراطور قسطنطين بطرد اليهود من بيت المقدس، كما أمر بقتل كل من لم يتنصَّر، فتنصر خلق كثير من اليهود والوثنيين، وظهر دين المسيحية.[3]

أقول: هذا تطور جديد للمسيحية في عهد قسطنطين، فقسطنطين بعد مجمع نيقية طَمَسَ القول ببشرية المسيح، والذي حاول آريوس إظهاره، وأظهر القول بأنه إله وابن الإله، وفعل قسطنطين هذا لم يتعدَّ جمهور المسيحيين المنتمين للكنيسة، ثم بعد دخوله في المسيحية صار يلزم الناس **جميعا** بالدخول في المسيحية، أعني **الوثنيين الرومان** الذي لم يدخلوا المسيحية ابتداء!

التحريف الكنائسي الثاني لدين المسيح بعد اعتناق الإمبراطور ثيودوسيوس الأول للمسيحية وحصول الامتزاج بين المسيحية والرومانية

في سنة ٣٨٠م كان عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول، الذي اعتنق المسيحية، فاعتنقت الإمبراطورية الرومانية الديانة المسيحية رسميا بثوبها الجديد الذي فصَّله بولس وثـبَّـته قسطنطين، فانفتح الباب على مصراعيه أمام الشعوب الوثنية التابعة للإمبراطورية الرومانية للدخول في المسيحية، مع أنهم ليسوا من بني إسرائيل الذين كانت رسالة المسيح الأصلية موجهة إليهم، وقد تقدم بيان ذلك، فدخلوا أفواجا، طواعية أو برغم أنوفهم، فليس هناك خيار ثانٍ أمام سيف الإمبراطور إلا الدخول في المسيحية، فدخلت تلك الملايين بعقائدهم وشعائرهم وتقاليدهم (كعبادة الصور والتماثيل وغيرها) وطقوسهم للديانة

---

[1] تنصر أي صار نصرانيا، أي مسيحيا بالمصطلح السائد.

[2] سميت هذه الكنيسة بهذا الاسم نسبة إلى قيام المسيح من قبره – بحسب اعتقادهم –، وليس نسبة إلى يوم القيامة.

[3] «تاريخ ابن البطريق» (١/١٢٨-١٣٠).

المسيحية، فزاد الطين بِـلَّةً، وانفتح التحريف لدين المسيح على مصراعيه، وحصل المزيد من الامتزاج بين المسيحية وعقائد الرومان الوثنيين، وهذه هي **الطامة الثالثة على دين المسيح بعد طامة بولس وطامة قسطنطين**.

التحريف الكنائسي الثالث

في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول حصلت **طامة جديدة** لدين المسيح، فزاد تشويها إلى تشويهه، فقد حصلت خلافات عقائدية جديدة حول ماهية الروح القدس، وعلاقته بالآب والابن، وقد كان الناس إلى ذلك الزمان يعتقدون بإلٰهين اثنين وهما الآب والابن (الله والمسيح بحسب اعتقادهم)، فلما حصلت الخلافات المشار إليها حول الروح القدس وماهيته قام الإمبراطور ثيودوسيوس الأول بجمع مائة وخمسين رجلا من كبار رجالات الدين المسيحي، ما بين كاردينال وبطريرك وأسقُف، وجمَعهم في مجمع القسطنطينية الأول، وكان ذلك في سنة ٣٨١م، وهو المجمع الثاني بعد مجمع نيقية، وأمرهم بالتشاور لحل الخلافات الجديدة، فخرجوا بعقيدة جديدة **وهي عقيدة التثليث**، وهي اعتقاد أن الآلهة عبارة عن ثلاثة أقانيم، وهي **أقنوم الآب، وأقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس**.

وبعبارة مختصرة فقد تحول دين المسيح الصافي الداعي إلى **التوحيد** (توحيد العبادة لله) إلى **التثليث، وهو اعتقاد أن الآلهة ثلاثة أقانيم كما تقدم، وشتَّان ما بين هٰذين الاعتقادين**.

التحريف الكنائسي الرابع

وفي سنة ٤٣١م حدثت **طامة أخرى لدين المسيح**، إذ خرج نَسطور، وهو بطريرك كنيسة القسطنطينية، خرج بعقيدة مفادها أن المسيح عيسى ابن مريم له طبيعتان، إلٰهية وبشرية، (لاهوت وناسوت)، وأنهما منفصلتان عن بعضهما.

ويتبع ذلك أن مريم ما ولدت الإلٰه عيسى، بل ولدت البشر عيسى!

فهي أم الإنسان عيسى، وليست أم الإلٰه عيسى!

فحصل إثر هذا خلاف شديد بين كبار رجال الدين المسيحي، فقرروا عقد مجمع للنظر في عقيدة البطريرك نسطور، فعُـقِد مجمعٌ في تلك السنة في مدينة إفسس في تركيا، وهو المُسمى **مجمع إفسس الأول**، حضره مائتا بطريرك وأسقف، وقرروا أن المسيح له طبيعتان، إلٰهية وبشرية، ولكن تلك الطبيعتين متحدتان ومندمجتان، وليستا منفصلتين كما يعتقد نسطور، وبناء عليه تكون مريم هي والدة الإلٰه عيسى كما هي والدة البشر عيسى.

ولما أصر نسطور على عقيدته طردوه من منصب البطريرك ولعنوه.

ولكن عقيدة نسطور انتشرت في سوريا والعراق وفارس، وسمي أتباع هذه العقيدة النسطوريين أو النساطرة، نسبة إلى البطريرك نسطور، الذي مات في حوالي عام ٤٥٠م.[1]

تعليق على عقيدة (الطبيعتين) التي أتى بها نسطور

[1] انظر كتاب: «محاضرات في النصرانية»، لمحمد أبو زهرة، ص ١٢٦ – ١٢٧، وكتاب: «دائرة معارف القرن العشرين»، للأستاذ محمد فريد وجدي.

هذه العقيدة التي أتى بها نسطور عقيدة خرافية، لأنها معتمدة أصلا على عقيدة خرافية أخرى وهي أن الله تجسد في المسيح، والتي أتى بها بولس، وقد تقدم الكلام عليها وبيان بطلانها، وأما مقولة إن المسيح ذو طبيعتين، إلهية وبشرية، فباطلة من أربعة وجوه:

الأول: على افتراض أن الله تجسد في المسيح، (وحاشاه من ذلك، ولكننا نقول ذلك على سبيل الافتراض)، فما الذي يمنع من أن تكون طبيعة المسيح واحدة، وطبيعة الله واحدة؟

وبناء على ماذا يقرر نسطور أن الجسد واحدٌ والطبيعة مختلفة؟
هل هو ربٌّ يعلم الغيب؟
إن مسألة الطبيعة أو الطبيعتين تعتبر من الغيب الذي لا تراه العيون.
وهذا يوضح دور رجال الدين والبطاركة في تحريف دين المسيح بإدخال عقولهم في الأمور الغيبية والتكلف في فهمها، فضلوا وأضلوا من يستمع لهم، تعالى الله عن إفكهم وافترائهم علوا كبيرا.

الوجه الثاني: أنه يلزم من هذه المقولة أن اللاهوت يعتمد على الناسوت، وهذا باطل، إذ كيف يعتمد الرب على البشر؟!

الوجه الثالث: أن قولهم باتصاف المسيح بطبيعتين في جسد واحد متناقض جدا، فالذات الواحدة لا يمكن أن تكون متصفة بصفات الرب وصفات البشر في آن واحد، لأنهما على طرفي نقيض، فالرب له صفات الكمال، والبشر له صفات النقص، فلا يمكن أن يكون الرب عالما بكل شيء وليس عالما بكل شيء في آن واحد.

الوجه الرابع في بيان تهافت هذه الدعوى (دعوى تقسيم المسيح إلى لاهوت وناسوت) أنها دعـوى جديدة، لم يُعَلِّمها المسيح بني إسرائيل، ولو كانت صحيحة لعلمهم إياها قطعا، لأن هذا شرف له لو كانت حقا، وهي من الأمور التي تتوافر الهِمم على نقلها ليعرفها الناس، ولم يُطبِقوا على الجهل بـها هذه القـرون الطويلة، ثم تُقرُّ بين المسيحيين في سنة ٤٣١م، فهي إذن عقيدة مبتكرة من عند البشر بعد رفع المسيح بنحو أربع قرون، ولم تكن معروفة من قبل.

التحريف الكنائسي الخامس

وفي سنة ٤٤٩م حصلت **طامة جديدة**، وذلك أن ديسقورس، بطريرك كنيسة الإسكندرية، جاء بعقيدة جديدة مفادها أن للمسيح طبيعة واحدة من طبيعتين؛ بشرية وإلهية، اتحد فيها العنصر البشري (الناسوت) مع العنصر الإلهي (اللاهوت) فصارا شخصا واحدا، وهو المسيح!

فعقد ديسقورس مجمع إفسس الثاني سنة ٤٤٩م، فأقرَّ المجمع تلك العقيدة، وعارضت الكنائس الأخرى هذا القرار وهما كنيسة القسطنطينية الشرقية والكنيسة الكاثوليكية في روما، فزاد الانقسام في الدين المسيحي بين كنائسه ورجاله.

التحريف الكنائسي السادس– مجمع خليقدونية

وفي سنة ٤٥١م، عقد بابا الكنيسة الكاثوليكية، لاون الأول، وبمشاركة من ستمئة من رجال الدين المسيحي عقد مجمع في مدينة خليقدونية، على بحر مرمرة في تركيا، فألغوا ما تم إقراره في مجمع إفسس الأول سنة ٤٣١م، ولعنوا بطريرك الإسكندرية ومن يؤيده.

فترتب على هذا غضب شديد من بطريرك الإسكندرية، فانفصلت الكنيسة القبطية عن الكنيسة الكاثوليكية، وعن الكنيسة الشرقية في القسطنطينية، فزاد الانقسام بين طوائف المسيحيين.

التحريف الكنائسي السابع

وفي سنة ٥٤٣م ظهر قس اسمه يعقوب البرادعي نادى بعقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح، والتي سبقه إليها ديسقورس قبل أربع سنين، فتبعه خلق كثير سُمُّوا فيما بعد باسم اليعقوبيين أو اليعاقبة، فحصل انقسام جديد بين المسيحيين بقيام هذه الطائفة (اليعقوبية)، ويُسمَّون في اللغة الأجنبية (الأرثوذكس).

التحريف الكنائسي الثامن

وفي سنة ٦٨٠م جاء بطريرك أنطاكية وهو (يوحنا مارون) بعقيدة جديدة لتفسير طبيعة المسيح بزعمه، قال فيها إن المسيح له طبيعتان ومشيئة واحدة، نظرا لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد، فعارضته كنيسة القسطنطينية والكنيسة الكاثوليكية، وعقدوا مجمعا حضره حوالي مئتين وثمانين أسقفا، وقرروا أن المسيح له طبيعتان ومشيئتان، وطردوا ولعنوا البطريرك مارون، فانفصلت كنيسة أنطاكية، وتعرض مارون للاضطهاد، فلجأ إلى جبل لبنان، وسموا أتباعه (المَوارنة)، وهي طائفة باقية إلى الآن.

التحريف الكنائسي التاسع

وفي سنة ٨٦٩م عُقِد مجمع القسطنطينية الرابع، وتقرر فيه أن الروح القدس انبثق من الآب والابن معا، وليس من الآب فقط، حسبما تقرر في مجمع القسطنطينية الأول عام٣٨١م.

التحريف الكنائسي العاشر الذي نشأ في بدايات القرن السادس عشر الميلادي

توطئة

انهيار الإمبراطورية الرومانية عام ٤٧٦م وهيمنة الكنيسة الكاثوليكية على المجتمع الأوربي لعشرة قرون، ثم اكتشاف العالم الجديد (الأمريكتان واستراليا ونيوزلندا) مع مطلع القرن الخامس عشر الميلادي ونشوء طائفة البروتستانت (المُحتجون)

لما انحلت الدولة الرومانية الغربية سنة ٤٧٦م، وحلَّت الكنيسة الكاثوليكية محلَّها، صار البابا هو الحاكم الفعلي لإيطاليا وغيرها من الأقاليم التي انهارت فيها الإمبراطورية الرومانية، فزاد نفوذ الكنيسة، وصار هو الداعم لملوك أوربا، فصار لها الفضل عليهم، وصار يعطيهم المال من عنده بما يكسبه من ظهور الناس، ومَن اعترض على البابا من الملوك فإنه قد يفقد حياته وليس فقط عرشه.

ومن أهم صور ذلك التسلط والهيمنة على الكاثوليكيين التالي:

١. اختراع عقيدة صكوك الغفران، والتي كان يهدف رجال الكنيسة من وراء هذا الاختراع إلى جمع المال، فقد زعموا في المجمع اللاتيراني الذي عُقِد في روما سنة ١٢١٥م أن **يَسوع منح الكنيسة الكاثوليكية في روما سلطة بيع صكوك الغفران**[١]، فإذا أراد الإنسان أن تُغفر له ذنوبه فما عليه إلا أن يشتري صكا من الكنيسة فيدخل الجنة إذا مات، والمال يذهب لجيوب رجال الكنيسة.

فرجال الكنيسة أقاموا بهذه العقيدة أنفسهم مقام الرب، الذي لا يغفر الذنوب إلا هو، تعالى الله عن كذبهم علوا كبيرا.

٢. ومن صور الفساد الكنائسي الفساد الأخلاقي بين الرهبان والراهبات، ولا حاجة إلى إعادة الكلام في هذا، وهو مستشرٍ إلى الآن في كنائس الكاثوليك والأرثوذكس.

٣. سلكت الكنيسة أسلوب القهر والتسلط، ومن ذلك اعتبار أي رأي يخالفها ولو كان في علوم الطبيعة أو الفلك أو غيرها من العلوم التي ليست من تخصص الكنيسة، فإنهم يعتبرونه كفرا وخروجا من الدين المسيحي، وبناء عليه فإنهم يُصدرون العقوبات التي ربما تصل إلى الإعدام على من يفعل ذلك، سواء كان الفاعل حاكما أو محكوما.

ومن مظاهر تسلط الكنيسة أن أصدرت الكنيسة الكاثوليكية في عهد البابا جريجوري التاسع في سنة ١٢١٣م محاكم عُرِفت باسم «محاكم التفتيش»، وهو نظام قمعي وحشي دموي، لم يشهد التاريخ مثله أبدا، يقوم بالتحقيق مع كل من خالف الكنيسة، فإن ثبتت مخالفته لها عوقِب بالتعذيب بنار هادئة حتى يسيل شحمه ولحمه، ثم تصادر ممتلكاته إلى الكنيسة.

وكانت الكنيسة ترسل الجواسيس إلى النساء في البيوت، فإن أخبرت المرأة مندوب الكنيسة بمخالفة زوجها للكنيسة وثبت عليه ذلك فالويل له ثم الويل له ثم الويل له.

وقد شمل نشاط هذه الكنيسة اليهود والمسلمين في أسبانيا، وقُدِّر عدد ضحاياهم هناك بـ ٣٤٠ ألف نسمة من سنة ١٤٨١م إلى سنة ١٨٠٨م.

وبهيمنة الكنيسة على أوربا في نهاية القرن الخامس بدأت العصور الوسطى المظلمة في أوربا، والتي استمرت نحو ألف عام إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، ثم قامت الاحتجاجات على طغيان الكنيسة

وقصة ذلك الانشقاق باختصار أنه مع مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، بدأت الاعتراضات والاحتجاجات على مظاهر الفساد المادي والأخلاقي الحاصل في الكنيسة الكاثوليكية وبابواتها وكرادلتها، وقد تقدم ذكر بعضها، فلم تعُد الناس تطيق ذلك التسلُّط الرهيب والكبت الشنيع، فقامت تلك الاعتراضات بطبيعة الحال، وكانت تسير بشكل سري وسلمي وهادئ، بدأها رجال دين صغار، منهم من اعترض على ادعاء الكنيسة سلطة غفران الذنوب، سواء ما كان أمام القساوسة أو بواسطة صكوك الغفران، ومنهم من اعترض على العقيدة القائلة بأن قتل المسيح على الصليب كان تكفيرا على خطيئة آدم، فقالوا إن ذلك ليس وسيلة لإرضاء الله وعفوه عن تلك الخطيئة، ومنهم من نادى بزواج القساوسة والراهبات، وانتقد فجور الفريقين، ووصف كثيرا من الأديرة **بأنها بيوت دعارة**، فلم تقبل الكنيسة الكاثوليكية مطالب الإصلاح هذه، وعاقبت بعض المطالبين بالحرق وبعضهم بالسجن حتى الموت.

---

[١] انظر إلى الضحك والدجل على عقول الناس!

قيام ثورة حقيقية، نشأت على إثرها طائفة البروتستانت (المُحتجُّون)، انشقوا عن الكاثوليك

لـمَّا لم تؤت تلك الدعوات الإصلاحية الهادئة ثمرتها، تحول الأمر إلى **ثورة** قادها المصلِحون الجدد ضد الكنيسة الكاثوليكية وبابواتها وكرادلتها، ومن أهم أولئك الثوار «القسيس مارتن لوثر»، والقسيس «جون كالفن» والأسقُف «جون هوس».

ولم يكن بإمكان أحد التنبؤ بأن النقد السِّلمي الهادئ للكنيسة الكاثوليكية، الذي بدأ مع مغيب القرن الرابع عشر ومطلع القرن الخامس عشر للميلاد، سيتطور إلى موجه عارمة من الصِّدامات والقلاقل والحروب الدينية الدامية التي عصفت بقارة أوروبا، وسالت بسببها دماء المسيحيين الأوروبيين بغزارة، وانشقت على إثرها الكنيسة الكاثوليكية إلى شطرين متعاديين، شطرٌ تمسك بالكنيسة الكاثوليكية وسُلطة البابا، وشطرٌ خرج عن طاعة الكنيسة والبابا وتمرَّد عليهما، وكوَّن جماعة جديدة سُمِّيت **البروتستانت، protestant ، أي المحتجون أو المعترضون**.

ويعتبر هذا الانشقاق الذي نجح ووطَّد أقدامه في سنة ١٥١٧م هام وخطير ومؤثر في مجريات الأمور الدينية والاجتماعية والسياسية في القارة الأوروبية، لا يقاس مع الانشقاقَيْن اللذين حدثا قبله في الديانة المسيحية عن الكنيسة الكاثوليكية، وهي انشقاق الكنيسة القبطية في الإسكندرية بمصر والكنائس التابعة لها، ثم انشقاق الكنيسة الأرثوذكسية في القسطنطينية.

هذا ويلاحَظ أن ثورة أولئك القساوسة **اقتصرت على النظام الكنسي الفاسد مالياً وأخلاقيا، والمتمثل بتصرفات البابوات وغيرهم من كبار القساوسة**، ولم تُطالب تلك الثورة بتنقية المسيحية مما شابها وخالطها من التحريف والعقائد الوثنية، مما أدخله بولس ومن بعده، كتأليه السيد المسيح وصلبه، وعقيدة التثليث، فأمور العقيدة لم يثوروا ضدها كما فعل آريوس، وإنما ثاروا ضد تسلط وهيمنة الكنيسة الكاثوليكية ورجالاتها ممثلةً بمنصب البابا على المجتمع، وابتزاز الناس ماليا وجنسيا باسم الدين، كما تقدم بيانه في المقدمة.

سقوط هيمنة الكنيسة في بريطانيا

لقد خرج على إثر ذلك الانشقاق، ملك إنجلترا هنري الثامن في سنة ١٥٣٤م عن طاعة البابا، وسحَب اعترافه بسلطته عليه، وأعلن أنه هو رئيس الكنيسة الإنجليزية وليس البابا. وبهذا تم انفصال الكنيسة الإنجليزية في لندن عن الكنيسة الكاثوليكية في روما وعن سلطة البابا عليها، وسمح الملك بطباعة كتابهم المقدس باللغة الإنجليزية، وكان هذا ممنوعا، هذا ولم يخلُ الأمر من قيام الحرب بين الكاثوليك والبروتستانت في بريطانيا.

وفي فرنسا قامت سلسلة طويلة من المذابح والحروب الأهلية بين المسيحيين البروتستانت – ويسمونهم في فرنسا الهوجونوت – والكاثوليك، وقد تميزت تلك الحروب بالشراسة والدموية التي اقترفها الجانبان ضد بعضهما، وقد بدأت تلك المذابح في سنة ١٥٦٢م، وانتهت في سنة ١٥٩٨م، حيث دامت لمدة ٣٦ سنة.

الهروب الجماعي من أوربا، وفرار البروتستانت إلى الأمريكتين وغيرها

تجددت الحروب بين الجانبين في سنة ١٦٢١م – أي بعد ٢٣ سنة من انتهائها – واستمرت إلى سنة ١٦٤٨م، فلما اكتُشِف العالم الجديد – الأمريكتان واستراليا ونيوزلندا – الذي صادف اكتشافه حصول القلاقل الدينية في أوروبا، فر البروتستانت بأعداد غفيرة من أوربا إلى تلك المناطق لهذا السبب، بالإضافة إلى أسباب أخرى اقتصادية وغيرها.

طوائف ومذاهب البروتستانت

وقد أنشأ البروتستانت في المَهجر طوائف أو مذاهب أو كنائس عديدة خاصة بهم، منها الكنائس الإنجيلية، أي التي تتبع الأناجيل، ومنها كنائس **تتبع آراء قسيس من القساوسة الذين ثاروا على الكنيسة الكاثوليكية**، مثل **اللوثريين**، نسبة إلى القسيس مارتن لوثر، **والكالفينيين**، نسبة إلى القسيس جون كالفن، **والهوسيين**، نسبة إلى القسيس جون هوس.

ويلاحَظ أن كل طائفة أو مذهب أو كنيسة من هذه الكنائس البروتستانتية مستقلة تماما بإدارتها الدينية عن الكنائس الأخرى، فهي لا تخضع لرئاسة أعلى منها تجمعُها تحت مظلتها،كما أعطوا الحق لكل بروتستانتي بفهم وتفسير الكتاب المقدس كما يرى، مما أدى إلى عدم تقيد البروتستانت كثيرا بالعقائد المسيحية، وساعد ذلك على تفريخ طوائف أو مذاهب أو كنائس جديدة باستمرار، ففي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها يوجد أكثر من ١٣٠٠ طائفة أو مذهب بروتستانتي، ولكل طائفة أو مذهب كنيسة خاصة بها، والحبل على الجِرار.[١]

ويختلف البروتستانت مع الكاثوليك في تحرُّرهم وعدم اعترافهم بالنفوذ الشخصي لرجال الدين، وخلع هيمنة رجال الدين عنهم، فليس الأمر عندهم كما هو عند الكاثوليك، يلاحَظ هذا في المنهج الكنائسي التالي عندهم:

- إلغاء منصب البابا من كنائسهم، ولم يعد لهم رئاسة دينية كالكاثوليك الذين تجمعهم الكنيسة الكاثوليكية في روما.
- حصْرُ صلاحيات رجال الدين بالوعظ والإرشاد الديني فقط، وأُزيلت القداسة عنهم، وخلَع رجال الدين عندهم ملابس الكهنوت، ولبسوا ثيابا عادية مثل بقية الناس.
- السماح للرهبان والراهبات بالزواج، وهذا فرق عظيم بينهم وبين الرهبان الكاثوليك الذين لا يتزوجون، بل يقضون شهواتهم مع الراهبات بالسر في الكنيسة، أو خلال علاقات مع البنات الذين هُنَّ من شريحة الرعية، واللاتي يطلب القساوسة منهن إقامة علاقة معهن، ثم المسكينة منهن تقبل بذلك إما **رهبة** من ذلك القسيس، بسبب نفوذه ومكانته، أو **رغبة** منها في حصول رضى القسيس عنها، لأنه يزعم أنه ابن الله، فإذا رضي القسيس عنها – أي عن البنت – رضي الله عنها أيضا، فتوافق البنت للقسيس أن يعاشرها ويتلذَّذ بها حتى لو كانت متزوجة، طلبا لرضا الله عنها – بِـظَـنِّـها –، وهكذا تتنقل المسكينة بين أحضان القساوسة طيلة شبابها، فإذا كبرت تركوها وبحثوا عن بنت أجمل منها، كل هذا باسم دين المسيح، ومحبة المسيح، والمسيح من هذا العُهر براء.
- إلغاء قانون الاعتراف بالذنوب أمام القساوسة طلبا لغفرانها من قِبلهم، فيما يُعرَف بـ «سر الاعتراف».
- منعوا الصور والتماثيل في كنائسهم، ومنعوا السجود لها، أو طلب الشفاعة من مريم أو القديسين، لأنهم ينظرون لها كإنسانة عادية، بخلاف المسيح، فهم لا يختلفون عن الكاثوليك في اعتقادهم فيه، فهم يعتقدون أنه الرب وابن الرب!

أيها القارئ المثقف العاقل، وأيتها القارئة المثقفة العاقلة، لو أجرينا مقارنة يسيرة بين المنهج البروتستانتي الذي أسسه البروتستانت وبين تعاليم المسيح الأصلية، هل يصح نسبة هذه الطائفة الجديدة (البروتستانتية) إلى دين المسيح وتعاليمه؟

---

[١] «حياة الحقائق»، جوستاف لوبون، ص ٨١.

وإذا كانت الإجابة نعم – على سبيل الافتراض –، فلو أجرينا مقارنة يسيرة مرة أخرى بين المنهج الكاثوليكي الذي هرب منه البروتستانت وبين تعاليم المسيح الأصلية، فهل يصح نسبة الكاثوليك **أيضا** إلى دين المسيح وتعاليمه؟

أترك الإجابة للقارئ المُـتَّـزِن والقارئة المُـتَّـزِنة.

خلاصة في أثر المجامع الكنائسية على دين المسيح

إن الناظر المُنصِف إلى التحريف الأول على يد بولس والذي تبعه عشر تحريفات كنائسية (ليكون المجموع أحد عشر تحريفا عظيما في رسالة المسيح) لَيَرى رأي العين أن المسيحية **المعاصرة** هي عبارة عن اجتهادات بشرية لا تمت إلى الوحي الإلٰهي بصلة، ولو كانت المسيحية المعاصرة دينا ربانيا من عند الله لما احتاجت إلى تدخل البشر كل هذا التدخل لفهم طبيعة المسيح، ناهيك عما تم إدخاله من قرارات تنافي دين المسيح نفسه بل تنقضه، وتدل على أن القساوسة هم أساس التحريف، ثم السلطة التي كانت تدعمهم بالقوة لكتمان الحق، وأعظمُ ذلك حظرُ سبعين إنجيلا في مجمع نيقية وحرقها وإعدام من يتداولها، لا لِشيء إلا لكونها كانت تقرر أن الله واحد في ذاته، ليس له ابن.

ولما كانت المسيحية عبارة عن اجتهادات بشرية لا تمت إلى الوحي الإلٰهي بصلة؛ كان نتيجة ذلك أن انقسمت هي نفسها إلى طوائف، كل طائفة تدَّعي أنها هي التي على الحق، وأن الأخرى مخطئة، وهي:

١. الكاثوليك وهم المَلَكانيون أو المَلَكِيَّة.

٢. الأرثوذكس وهم اليعقوبية.

٣. البروتستانت، أي المُحتَجُّون.

٤. المارونيون أو المَوارِنة.

٥. أتباع المسيح حقا، وهم برنابا وآريوس الإسكندري ومن تبعهم، **وهؤلاء ليس لهم وجود الآن**، وهم الذي كانوا يقولون إن المسيح بشر رسول، عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، ليس ربا ولا ابن الربِّ، وهؤلاء هم أتباع المسيح على الحقيقة، ولو أنهم أدركوا النبي محمدا (صلى الله عليه وسلم) لآمنوا به ودخلوا الإسلام، لأن المسيح بشَّر بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) بعده، وهذا مُثبت في الأناجيل المعاصرة التي كتبها يوحنا وغيره[١]، فرسالة محمد (وهي دين الإسلام) ما هي إلا امتداد لرسالة المسيح الصحيحة، جعلنا الله جميعا من أتباع الأنبياء، حتى نفوز برضا الله ودخول جنته.

خلاصة في مراحل تحريف دين المسيح في القرون الست الأولى بعد رفعه إلى السماء

مما ينبغي أن يُعلم أن دين المسيح الأصلي يقوم على:

١. عبادة الله وحده

---

[١] وقد يسر الله جمع تلك البشارات فانتهت إلى ٢٨ بشارة، وهي مجموعة في كتاب:

The Amazing Prophecies of Muhammad in the Bible

وهذا الكتاب منشور في شبكة المعلومات بهذه العنوان.

٢. أن المسيح بشر

٣. أن المسيح رسول

٤. أن المسيح يعلم الناس التوراة والإنجيل

٥. أن المسيح رسول إلى بني إسرائيل

٦. أن المسيح بَـشَّر برسول من بعده اسمه محمد، يتمم رسالة المسيح، ويصحح التحريف الذي اعتراها، ويدعو الناس إلى عبادة الله، بحسب الشريعة المدونة في الكتاب المقدس (القرآن)، ويدلهم إلى طريق الجنة ويحذرهم من الطريق المؤدي إلى النار.

وفي الإنجيل ٢٨ بشارة بالنبي محمد، وهي مدونة في العهد القديم والجديد.[١]

بينما المسيحية المعاصرة مزيج من ثلاثة:

١. بقايا دين المسيح، وأحسن ما فيها في الأناجيل الأربعة، والتي بدأ تدوينها على يد أشخاص من سنة ٣٧ م إلى سنة ١١٠م، وهي إنجيل مَتَّى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.

٢. تحريفات بولس والمتمثلة في:

أ- دعوى أنه رسول مُعَيَّن من قِبَلِ المسيح

ب- دعوى أن الله أوحى إليه إنجيلا

ت- دعوى أن المسيح إله (وليس نبي)

ث- دعوى أن المسيح ابن الله (بُنُوَّة المسيح لله)، وأن المسيح ليس بشرا، وأن الله تجسد فيه

ج- عقيدة الذنب الأصلي أو الخطيئة الأولى، والتي تنص على أن البشر توارثوا ذنب أبيهم آدم عبر القرون

ح- عقيدة الفداء، والتي تنص على أن الله أرسل المسيح (على أنه ابنه) فاديا ومخلصا للبشر من الذنب الأصلي

٣. تحريفات المجامع الكنائسية والتي انطلقت من بداية القرن الرابع الميلادي تحت دعم الحكومة الرومانية، وهي:

أ- مجمع نيقية، وحصل فيه ترسيم ألوهية المسيح سنة ٣٢٥م، وحصر الأناجيل في أربعة أناجيل مع ستة عشر رسالة، وحرق ما سوى ذلك من الأناجيل والتي تربو على سبعين إنجيلا، ومنع القساوسة من الزواج، مع أن الله لم يحرم عليهم ذلك.

---

[١] تقدمت الإشارة إلى أن هذه الأدلة الإنجيلية مجموعة في كتاب:

The amazing prophecies of Muhammad in the Bible

وهذا الكتاب منشور بهذا العنوان في شبكة المعلومات.

وانظر أيضا كتاب «البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب» (٩٩ دليلا على وجود النبي المبشر به في التوراة والإنجيل)، تأليف د. صلاح الراشد، الناشر: دار ابن حزم – بيروت.

ب- مجمع القسطنطينية الأول، وحصل فيه ترسيم عقيدة التثليث سنة ٣٨١م.

ت- مجمع إفسس الأول سنة ٤٣١م، وحصل فيه ترسيم تقسيم المسيح إلى لاهوت وناسوت، وأن المسيح ذو طبيعتين.

ث- مجمع إفسس الثاني سنة ٤٤٩م، وحصل فيه ترسيم تقسيم المسيح إلى لاهوت وناسوت، وأن المسيح ذو طبيعة واحدة، (خلافا لقرار المجمع قبله، والذي نص على أن المسيح ذو طبيعتين).

ج- مجمع خليقدونية سنة ٤٥١م، وحصل فيه إلغاء قرار مجمعي إفسس الأول والثاني.

ح- نشأة المذهب الماروني على يد بطريرك أنطاكية سنة ٦٨٠م، والذي ينص على أن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة، وهذا المذهب محصور في جبل لبنان منذ ذلك الحين إلى الآن.

خ- انشقاق طائفة أطلقت على نفسها «البروتستانت» من الكنيسة الكاثوليكية وذلك في عام ١٥١٧م بسبب ضجرها من فساد القائمين على الكنيسة الكاثوليكية، ثم هجرتها من أوربا إلى الأمريكتين وغيرها.

وبناء على ما تقدم فالدين الذي يسير عليه المسيحيون ليس هو دين المسيح الأصلي في الحقيقة، بل هو مزيج من ثلاثة أشياء: دين المسيح وتحريف بولس، ثم تحريف المجامع الكنائسية، الذي دعمته حكومات الرومان في القرن الرابع والخامس الميلادي، فتكوَّن دين جديد لا يَمُت لدين المسيح بصلة أبدا، بل يناقضه في أصوله وفروعه، وإن تسمَّى به في الظاهر، فالعبرة بالحقائق وليس المسميات.

خلاصة عامة

هذا الملخص الذي تقدم ذكره يعتبر دليلا تاريخيا كافيا إثبات بطلان مقولة إن المسيح إله أو ابن الإله، فقد تبين للقارئ والقارئة الصادقَين في البحث عن الحق أن المسيحية المعاصرة من وضع البشر، ولا تَـمُت إلى تعاليم المسيح بصلة، والأناجيل الأربعة التي كتبها الرجال الأربعة الذين جاءوا بعد المسيح لا تُقر هذا، فتبين أن تلك العقائد ليست إلا من وضع البشر،man-made، وأن الناس غُلِبوا عليها بالحديد والنار في عهد الأباطرة الرومان، ولو أن لها أصلا في تعاليم المسيح لما احتاج الإمبراطور الروماني قسطنطين ومن بعده إلى عقد تلك الاجتماعات والمؤتمرات، مما يوضح بكل جلاء أن دين المسيح قد أصابه التحريف والتغيير، وصار ألعوبة في يد بولس ومن لحقه من أباطرة الرومان ورجال الكنيسة، يغيرون فيه كما يشاءون، ثم يقولون كذبا وزورا: (هذا هو دين المسيح، وهذه هي العقيدة التي يجب أن يؤمن بها جميع أتباع المسيح)، مع أن المسيح نفسه لم يَـعْـلَمها ولم يُعَلِّمها بني إسرائيل!

***

الفصل الرابع: الأدلة القرآنية على بطلان مقولة إن المسيح رب

٣٠. الدليل الثلاثون: الدليل القرآني

خلاصة مفيدة في بيان حقيقة المسيح عيسى ابن مريم في الكتاب المقدس (القرآن)

لما اشتدت غربة الدين، وتلاشت آثار الأنبياء في الناس، وترك الناس عبادة الله وحده، وعبدوا غيره، من الأنبياء والأحجار والصور وغيرها، وفي سنة ٥٧٠م تقريبا، بعث الله نبيه محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) للناس كافة ليدلهم على الدين الصحيح الذي بعث الله به جميع أنبيائه، بعثه الله إلى بني إسرائيل وغير بني إسرائيل، العرب وغير العرب، وأنزل عليه كتابه المحفوظ من التبديل والتغيير وهو القرآن، فبيَّن للناس حقيقة المسيح التي انقسم الناس فيها إلى فرق وأحزاب وطوائف، فقال الله فيه قول الحق، وهو أنه بشر، وأنه نبي عظيم من أنبياء بني إسرائيل، فلم يرفعه إلى منزلة رب العالمين كما فعل النصارى، ولم يخفِضه ويقول إنه قُتِل وصُلِب وبُصِق في وجهه، كما قال اليهود، بل بين الله أنه عصمه من كيد اليهود لما أرادوا قتله، فرفعه إليه في السماء في معجزة إلٰهية، وهو باقٍ فيها ينتظر نزوله في آخر الزمان ليبقى فيها حكما عدلا أربعين سنة، ثم يموت كما مات غيره من الأنبياء، ثم يُدفن في الأرض، ثم يبعثه الله يوم القيامة كما يبعث غيره من الأنبياء والبشر.

قال الله في القرآن ﴿ما الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطعام انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

فهذا القول الذي قاله الله في القرآن عن المسيح هو القول الفصل، لأنه رب البشر، وهو العليم بأحوالهم، وهو القول الموافق للعقل والواقع، فعِصْمته من القتل والإهانة متوافقة مع كونه نبي، ورفعُه إلى السماء متوافق مع علو قدرِهِ ومنزلته، والقول بأنه بشر وليس إلٰها ولا ابنًا لله متوافق مع العقل، لأن كل الأنبياء بشر كذلك، ولأن الله ليس بحاجة إلى ابن، فهو الغني عن العالَمين، لا يليق به أن يخلق الخلق ثم يحتاج إليهم، وهذا واضح بحمد الله لكل من أراد الحق وتجرد له، وصدق مع الله في البحث عن الدين الحقيقي الصحيح.

استطراد

وقد اهتم القرآن الكريم اهتماما بالغاً بشأن نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام، فابتدأ قصته بِذِكر ولادة أمه مريم، ونشأتها نشأة الطهر والعفاف والعبادة والتبتل، ثم ذَكَر إكرام الله تعالى لها بأن رزقها غلاما بلا أب، حيث أرسل لها أعظم الملائكة وهو جبريل – عليه السلام – ليبشرها به، ولينفخ فيها فتحمِل بعيسى عليه السلام، ثم ذكر رعاية الله لها أثناء حملها، ورعايته لها أثناء ولادتها له، ثم حديثها مع بني إسرائيل لما استنكروا إنجابها للولد وليست ذات زوج، وكلام عيسى في المهد بأنه عبد الله، وأنه نبي من عند الله، ثم بيّن القرآن خبره بعدما كبر لما بعثه الله إلى بني إسرائيل نبيا مؤيَّدًا بمعجزات كثيرة تدل على نبوته، وأنه رسول من عند الله، ليعلَم الناس أنه لا يأتي بتلك المعجزات إلا رسولٌ أيده الله بها، حالُهُ في هذا كحال غيره من الأنبياء، ثم ختم القرآن أخبار عيسى ابن مريم بذكر محاولة اليهود قتله، وكيف أن الله نجاه منهم بمعجزة إلٰهية، لم تحصل لنبي قبله، وهي رفعُهُ إلى السماء معززا مكرما، خلافا لما يعتقده النصارى واليهود فيه أنه قتله اليهود وبصقوا في وجهه وصلبوه على خشبة على هيئة صليب ووضعوا الشوك على رأسه، حاشاه من ذلك.

وكما تقدم، فقد سلك الإسلام في الاعـتقاد بالمسيح مسلكا وسطا بين اليهود والنصارى، فالنصارى عظَّموه وأخرجوه من حيز البشرية إلى حيز الألوهية، ثم اضطربوا في هذا اضطرابا عظيما، فمنهم من قال إنه هو الله، ومنهم من قال إنه ابن الله، ومنهم من قال إنه ثالث ثلاثة، وهم في هذا الاعتقاد مناقضين لاعتقادهم الآخر فيه، وهو أن اليهود قتلوه وبصقوا في وجهه وصلبوه على خشبة الصليب، إذ كيف يجتمع كونه ربا لهذا الكون أو ابنا لله مع وقوع الإهانة العظيمة عليه؟!

أَفَـلا دافع الله عن ابنه، لو كان ابنه حقا؟!

واليهود – على الجانب الآخر – اعتقدوا في المسيح عيسى ابن مريم اعتقادا يناقض اعتقاد النصارى تماما، فقالوا إنه ابن زنا (حاشاه من ذلك)، حسدا له أن جعله الله نبيا، وهم مع هذا لا يؤمنون بنبوته.

ولكن طائفة قليلة من أتباع عيسى ابن مريم بقيت على إيمانها الصحيح بعيسى ابن مريم، وهم الحواريون، فبقوا متمسكين بدينه حتى بعد رفعه إلى السماء، وهم بريئون من غُـلُـوِّ[1] النصارى في المسيح، وازدراء اليهود له.

ثم جاء الإسلام فجَلَّـى حقيقة الأمر، وكان هذا بعد رفع المسيح بنحو ستة قرون، وذلك أن الله رحيم بعباده، لم يترك بني إسرائيل يسيرون مضطربين بلا هداية ولا إرشاد، فأرسل نبيه محمدا إلى جميع الناس، بني إسرائيل وغير بني إسرائيل، وأنزل عليه القرآن، وتكفل بحفظه من التحريف والتبديل الذي طرأ على التوراة والإنجيل، والذي تسبب في اضطراب عقيدة المسيحيين في المسيح نفسه، واختلافهم في فهم ذاته ماهيته، فبيَّن القرآن حقيقة عيسى ابن مريم عليه السلام، فلم يدع شبهة إلا أزالها، ولا حقيقة إلا أبانها، وبين أنه نبي عظيم من أنبياء بنـي إسرائيل، أرسله الله ليأمرهم بعبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، وأنزل معه الإنجيل فيه هدى ونور، ونهاهم عن عبادة ما سواه، وبَيَّن القرآن أن الله نسخ شريعة المسيح ومن قبله من الأنبياء بشريعة الإسلام، وجعلها مهيمنة على ما قبلها من الشرائع، وحفِظ دستورها وهو القرآن من التحريف والضياع.

وقد أنكر الله سبحانه في القرآن الكريم اتخاذ الله في قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرحمٰن وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا للرحمٰن وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي للرحمٰن أَن يَتَّخِذَ وَلَدا﴾[2].

وقد ورد ذكر اسم عيسى في القرآن ٢٥ مرة، وورد ذكره بوصفه (المسيح) ٩ مرات، كما ورد ذكر اسم أمه مريم ٣١ مرة، كلها في مقام الاحترام والتعظيم والتبجيل اللائق بأمثالهما من البشر، دون اعتقاد أن لهما شيئا من صفات الربوبية أو الألوهية، بل هما بشر مثلنا، يعبدان الله كما نعبده نحن، ويرجوانه الجنة والنجاة من النار كما نرجوه نحن.

ليس هذا فحسب، بل قد جاء وصف عيسى بأنه من أولي العزم من الرسل، والعزم أي الصبر والحزم.

وأولي العزم من الرسل هم أعظم الرسل، وهم خمسة (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد)، صلوات الله عليهم جميعا.

---

[1] الغُـلُـو هو الزيادة في التعظيم كما سيأتي.

[2] سورة مريم: ٨٨ – ٩٢.

الفصل الخامس: ملحق فيه فوائد عامة

الفهرست

١. سورة الإخلاص من الكتاب المُقَدَّس (القرآن الكريم)
٢. آية الكرسي من الكتاب المُقَدَّس (القرآن الكريم)
٣. نبذة عن عقائد الرومان
٤. قصة مريم العذراء وابنها المسيح عيسى ابن مريم
٥. شبهة والجواب عليها
٦. فائدة في معنى كلمة (ابن الله) الواردة في بعض الأناجيل
٧. همسات إيمانية من القلب إلى القلب

١. الملحق الأول: سورة الإخلاص من الكتاب المُقَدَّس (القرآن الكريم)

قال الله في القرآن الكريم:

﴿قُـل هو الله أحد * الله الصَّمد * لم يلِد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد﴾

تفسير السورة:

﴿قُـل﴾، المخاطَب بهذه الآية هو النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، يقول الله له: قل أيها الرسول لكل الناس.

﴿هو الله أحد﴾: أي هو الله المتفرد بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، لا يشاركه أحد فيها.

﴿الله الصَّمد﴾: أي الذي تصمد له جميع الخلائق وتطلب منه حاجاتها.

﴿لم يلد ولم يولد﴾: أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة، لأن هذه صفات المخلوقين، أما الله فلا يشبهه شيء، وليس كمثله شيء، وهو أعلم بنفسه من غيره.

﴿ولم يكن له كُـفُوا أحد﴾: أي ليس له مماثل ولا شبيه، لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، تبارك وتعالى وتقدَّس.

وقد أنزل رب العالمين هذه السورة القصيرة في طولها، العظيمة في معانيها، للرد على ثلاث طوائف:

الأولى: المشركين الذين كانوا في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الذين قالوا إن الملائكة بنات الله.

الثانية: اليهود الذين قالوا: عُـزير ابن الله.

الثالثة: النصارى (المسيحيين) الذين قالوا إن المسيح ابن الله.

فنفى الله عن نفسه هذه الصفات (الولادة والـمِثلِيَّة) نفيا قاطعا.

وقد قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): قال الله تعالى:

كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك.

فأما تكذيبه إياي فقوله: (لن يُعيدني كما بدأني)، وليس أول الخلق بأهونَ عليَّ من إعادته.

وأما شَـتمُهُ إيَّاي فقوله: (اتخذ الله ولداً)، وأنا الأحد الصمد، الذي لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد. انتهى الحديث.

أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن قرأ القرآن فكان هاديا له إلى الفلاح والرشاد، وفي الآخرة قائدا له إلى الجنة.

٢. الملحق الثاني: آية الكرسي من الكتاب المُقَدَّس (القرآن الكريم)

الواجب هو تعظيم الله وتنزيهه عن مشابهة خلقه، أو حلوله في خلقه، فالله هو الله، والمسيح هو المسيح، استمع أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة إلى صفة الله في القرآن في أعظم آية منه والتي تُسمَّى آية الكرسي:

﴿اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمِ﴾.

فهذه الآية الكريمة هي أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلّها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة، وصفات الله الكريمة، فلهذا وردت الأحاديث في الترغيب في قراءتِها، وجَعْلِها وِردا للإنسان يقولها في أوقاته صباحا ومساء وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات.

- فقوله ﴿لا إله إلا هو﴾ أي: لا معبودَ بحقٍّ سواه، فهو الإله الحق الذي تتعيَّن أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتألُّه له سبحانه تعالى، لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، فيجب على الإنسان أن يكون عبدا لربه، ممتثلا أوامره، مجتنبا لنواهيه، وكل ما سوى الله تعالى فعبادته باطلة، لأن كل ما سوى الله فإنه مخلوق ناقص مُدبَّر فقير من جميع الوجوه، لا يستحق شيئا من أنواع العبادة، سواء كان بشرا أو جمادا، نبيا أو حجرا أو صليبا أو شمسا أو قمرا أو قبرا أو غير ذلك.
- قوله: ﴿الحي القيوم﴾ هٰذان الاسمان الكريمان هما من أعظم أسماء الله سبحانه وتعالى، فإن لله تسعة وتسعين اسما، أعظمها (الله)، وهٰذان الاسمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى، فالحي هو من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة ونحو ذلك، والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين، كالخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، فكل ذلك داخل في قيُّومِيَّة الله سبحانه وتعالى.
- قوله ﴿لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم﴾، السِّنَةُ هي النعاس، والنوم معروف، ومعنى الآية أن الله لا يعتريه النوم ولا مقدماته، لأن النوم صفة نقص، وهو لا يحصل إلا بعد تعب، وهو (أي التعب) صفة نقص أيضا، وصفات النقص يَتَنزَّه الله عن الاتصاف بها، بل هو المتصف بصفات الكمال، لا يعتريه النقص بوجه من الوجوه، كما قال الله عن نفسه ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وقال في آية أخرى ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
- ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي: هو المالك لكل شيء في هذا الكون، وكل ما سواه مملوك له، فالسماوات والأرض وما بينهما من جبال وبحار وبشر وحيوانات فكلها مملوكة له، يدبرها الله ويُنفِّذ مشيئته فيها كما شاء، وهو مع هذا رحيم بهم سبحانه وتعالى، يرزقهم ويجيب دعاءهم ويدلهم على الطريق الموصل لجنته ليسلكوه، ويبين لهم الطريق الذي يؤدي إلى النار ليجتنبوه، وكل ذلك مذكور في القرآن.

- قوله: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ أي: لا أحد يشفع لأحد يوم القيامة بدون إذنه، لأن الشفاعة كلها ملك لله تعالى، فإذا أراد أحد أن يشفع لأحد يوم القيامة في دخول الجنة فإنه يستأذن الله أولا، فإذا أذِن الله له بالشفاعة استأذن منه في قبول شفاعته لفلان من الناس أن يدخله الجنة، فإن قبِل الله شفاعته دخل المشفوع له الجنة، وإن لم يقبل لم يدخل، وفي هذا إشارة إلى ظهور ملك الله يوم القيامة وانقطاع جميع الأملاك.

- ثم قال ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ أي: يعلم ما مضى من الأمور، ﴿وما خلفهم﴾ أي: يعلم ما سيحصل في المستقبل، فعلمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم شيء من الأمر ولا العلم إلا ما علَّمهم الله سبحانه تعالى، ولهذا قال: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾.

- قوله ﴿وسِع كرسيه السماوات والأرض﴾، الكرسي هو موضع قدمي الرب جل جلاله، ولا يعلم كيفيته إلا الله سبحانه، لأنه من الغيب الذي لم نطَّلِع عليه، فيجب الإيمان به كما أمر الله بذلك.

- ووصفُ الكرسي بأنه وسِع السماوات والأرض يدل على كمال عظمة الله سبحانه وتعالى وسعة سلطانه، إذ إن الكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هناك ما هو أعظم منه وهو عرش الرحمٰن، الذي استوى عليه الله وارتفع، وهو من الغيب أيضا، وقد أشار الله إلى عظمته في قوله ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾، أي علا وارتفع، والعرش – في اللغة العربية – هو سرير المُلك.

- قوله ﴿ولا يئوده حفظهما﴾ أي: لا يُثقِلُه ولا يُتعِبُه حِفظ السماوات والأرض وتدبير أمرها وأمور عباده وسائر مخلوقاته، لأن الله إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون، وهذا هو المعروف بتوحيد الربوبية، لأن الرب هو المالك الخالق المدبر، وتوحيد الله في ربوبيته على خلقه تعني اعتقاد تفرده بأنه المالك الخالق المدبر، ومن ذلك حفظ السماوات والأرض.

- قوله ﴿وهو العلي﴾ أي هو العلي **بذاته** فوق عرشه، والعلي **بقَهره** لجميع مخلوقاته، والعلي **بقَدْره** لكمال صفاته، فله العلو المطلق من هذه الوجوه الثلاثة.

- قوله ﴿العظيم﴾ أي هو العظيم الذي يتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة والكبرياء، والقهر والغلبة على كل من في الأرض والسماء.

- وكما تقدم، فهذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فقد اشتملت هذه الآية على عشرة أمور:

١. الأمر بتوحيد العبادة، ﴿لا إله إلا هو﴾.

٢. توحيد الله في ربوبيته على خلقه، ﴿القيوم﴾، ﴿ولا يَئوده حفظهما﴾.

٣. توحيد الأسماء والصفات، ﴿الحي القيوم﴾.

٤. تنزيه الله عن صفات النقص ومشابهة المخلوقين، ﴿لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم﴾.

٥. بيان إحاطة ملكه، ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾.

٦. ظهور ملك الله يوم القيامة وانقطاع جميع الأملاك ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

٧. بيان إحاطة علمه، ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾.

٨. بيان أن العباد ليس لهم شيء من الأمر ولا العلم إلا ما علَّمهم الله سبحانه تعالى، ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾.

٩. سَعة سلطان الله وملكه وجلاله ومجده وعظمته وكبريائه وعلوه على جميع مخلوقاته، ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾.

١٠. فهذه الآية بمفردها تعتبر عقيدة شاملة لأسماء الله وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلا، فلهذا كثُرت أحاديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في الترغيب في قراءتِها، وجعلِها وِردًا يقوله الإنسان في الصباح والمساء وعند نومه وبعد الصلوات.

٣. الملحق الثالث: نبذة عن عقائد الرومان[١]

الرومان شعوب ضالة تائهة، لا تعرف الرب الحقيقي (الله)، ولا تؤمن برسول، تعيش كما تعيش البهائم، بل البهائم خير منها، لأن البهائم تعرف ربها في فطرتها، أما هم فلا، فقد كان الروماني يعتقد أن الكون من حوله خاضع لقوى جبارة، قديمة الوجود، غير مرئية، يظهر نشاطها في الظواهر الطبيعية، كهبوب العواصف والرياح، ونزول الأمطار، ولمعان البرق في الليل فيُبدد ظلامه، وصوت الرعد والصواعق التي تصم الآذان، وغروب الشمس وما ينتج عنه من قدوم الليل وظهور القمر والنجوم، ثم شروقها وما ينتج عنه من تبدد الظلال، وتتابع الفصول، ونمو الحيوانات والنبات ونشأة الإنسان، وما يطرأ عليه من تطورات في الخِلقة من ضعف إلى قوة ثم ضعف.

فكان الإنسان الروماني يطلق على هذه القوى اسم «الأرواح النشطة» أو «الآلهة».

وكان عدد هذه الآلهة في نظر الرومان كبير جدا، فهناك على سبيل المثال آلهة لحراسة المنزل والمزرعة، وآلهة للغابات، وآلهة تهيمن على الظواهر الطبيعية الثائرة كَـهَـيَجان البحر وفيضان الأنهار وهبوب العواصف ونحوها، وآلهة للعَسكر، وهكذا.

وكانت علاقة الشخص الروماني بآلهته علاقة مادية بحتة، فلِأنه يعتقد منفعتها له في مهنته فإنه كان يقدم القرابين لها والذبائح، لكي ينال برضاها – بحسب اعتقاده – ثم معونتها له ليحصل على ربح وفير في مهنته، مزارعا كان أو صانعا أو رجلا عسكريا يريد النصر في حروبه، أو غير ذلك.

وقد كان للرومان عدة معبودات لها صور بشرية، خصوصا تلك التي كانت تُعبد رسميا من قِبَل الدولة الرومانية، مثل (جوبيتر) الذي كان أعظم الآلهة عندهم، و (منيرفا) التي كانوا يعتقدون أنها تَهِبُ الذي يعملون بعقولهم وأيديهم المهارة في العمل، و (ساتورونس) آلهة الزراعة، وهَلُمَّ جرًّا.

وكان الرومان يعتقدون أنهم كلما زاد عدد العابدين لآلهة معينة فإنها تكون أكثر استعدادا ورغبةً في أن تكافئ عابديها.

ومن المضحك أنهم إذا مات لهم امبراطورٌ له إنجازات مرموقة وأعمال جليلة وانتصارات، فإن مجلس الشيوخ الروماني يضيف اسم ذلك الامبراطور لقائمة الآلهة التي يعبدونها، فيصير الإمبراطور إلٰها بعد وفاته وتحوُّله إلى فتات، وقد حصل هذا (التأليه) لعدد من الأباطرة مثل قيصر وأغسطس وتراجان وغيرهم.

ومن الجدير بالذكر أن السلطات الرومانية كانت تسمح للمواطن الروماني باعتناق أي ديانة أجنبية بشرط ألا تمنعه تلك الديانة من الخضوع لآلهة الرومان وتعظيمها، والاشتراك في احتفالاتها وطقوسها، لأن اشتراك الجميع في تعظيم آلهتهم هو رمز للوحدة، وكفيل برضا الآلهة.

يضاف إلى ذلك أهمية تعظيم الجميع للأباطرة، وذلك بحرق البخور أمام تماثيلهم.

وقد كان القانون الروماني صارما جدا ضد من يخالف تلك القواعد.

وبسبب مخالفة اليهود لتلك القواعد فقد بطش بهم الرومان بطشا في الأعوام ٧٠ و ١٣٢– ١٣٥، فقد كانت فلسطين (بلد اليهود والنصارى) تحت سلطة الرومان حينئذٍ.

وقد استغل اليهود هذا النفوذ والجبروت عند الرومان ليبطِشوا بالمسيح كما تقدم، ولكن الله نجاه من القتل، فرفعه إلى السماء دون أن يمسه أذى.

---

[١] للأمانة العلمية فقد استفدت المعلومات المذكورة في هذا الملحق من المبحث الأول من كتاب: «تاريخ النصرانية – مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع.

ثم بعد رفع المسيح استغل بولس هذا النفوذ والجبروت عند الرومان، فاستعداهم ضد أتباع المسيح ليمحو دينه من الأرض تماما، ويُحِل مكانه دينا آخر، يحمل اسم المسيح في الظاهر، ولكنه في الباطن يخالفه من كل وجه، وقد تم شرح ذلك بالتفصيل.

ثم استمر الرومان في نفوذهم وولايتهم على البلدان قرونا، فزادوا في تحريف دين المسيح جيلا بعد جيلا وقرنا بعد قرن، حتى تم تحريفه تماما، وإحلال دين آخر مكانه لا يمت لدين المسيح بصلة.

ثم بعد نحو ستة قرون من رفع المسيح، بعث الله نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) بدين الإسلام، ولما عرف الناس أنه من عند الرب حقا؛ وأنه هو الدين الصحيح؛ دخلوا فيه أفواجا، فانتشر دين الإسلام، ثم قاتل المسلمون الرومان، لأنهم ليسوا على دين صحيح، بل دين باطل، فرضوه على الناس بالحديد والنار، فتغلبوا عليهم، وسيطروا على البلدان التي كانوا يحكمونها، وهي الشام ومصر وتركيا وغيرها، وحَلَّ الدين الصحيح المحفوظ وهو دين الإسلام مَحَلَّ الدين المحرف الذي وضعه بولس ومن تبِعه من أباطرة الرومان، والحمد لله رب العالمين.

٤. الملحق الرابع: قصة مريم العذراء وابنها المسيح عيسى ابن مريم

أخبار عن ولادة مريم وتربيتها

- كان عمران والد مريم هو صاحب صلاة بني إسرائيل لصلاحه وتقواه وعبادته، ولما نذرت زوجتُه «حَنَّة» أن تجعل ولدها محررا إن رزقها الله ولدا؛ حاضت من فورها، وكانت لا تلد، فواقَعها زوجها فحملت بمريم، ومعنى (مريم) أي العابدة الناسكة في لسانهم.

- ومن دلائل فضل مريم أن الشيطان لم ينغزها في جنبها كما يفعل لسائر الأطفال، وهذا فضلٌ خاص لها ولابنها المسيح عيسى ابن مريم، كما جاء في الحديث عَنْ النَّبِيِّ محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في بيان حماية الله لمريم وذريتها — ولم يكن لها ذرية إلا ابنها المسيح – ، في قوله: «مَا مِنْ بني آدم مَوْلُودٍ إِلَّا يَـمَسُّهُ[١] الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا[٢] مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غير مَرْيَمَ وَابْنَهَا»، ثُمَّ قال أَبُو هُرَيْرَةَ – راوي الحديث –:

وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.[٣]

وعنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ بإصبعيه حِينَ يُولَدُ، غير عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعَنُ، فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ[٤]».[٥]

- أتت «حَنَّة» أم مريم بابنتها مريم بعد فترة رضاعها إلى بيت المقدس فسلمتها للعباد الذين في المسجد الذي كان يصلي فيه زوجها عمران، وكان إمامهم في الصلاة، ليربوها على العبادة والطاعة، فتنازعوا بينهم أيهم يكفلها ويربيها، وكان زكريا هو النبي في ذاك الزمان، فطلب أن يقوم هو بكفالتها ويتنازلوا هم عن ذلك له فأبوا، مع أنه كان كبيرهم ونبيهم، ثم اتفقوا على أن يجعلوا الأمر بينهم قرعة، فمن فاز بالقرعة صارت مريم في كفالته، كائنا من كان.

فكانت مشيئة الله أن تكون القرعة لزكريا، وهذا من دلائل خيرية مريم عليها السلام، إذ كانت في كفالة وتربية نبي من الأنبياء، وليس رجلا عاديا.

---

[١] أي يمَسُّه بإصبعه ليصيح.

[٢] يستهل صارخا أي يصيح.

[٣] رواه البخاري (٣٤٣١) ومسلم (٢٣٦٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٤] الحجاب هو حجاب ضربه الله بين الشيطان ومريم، فلما أراد الشيطان أن يطعن مريم في جنبها طعن في الحجاب، وكذلك الأمر بالنسبة لابنها المسيح عيسى ابن مريم، لما أراد أن يطعنه في جنبه بأصبعه ليصيح جاءت الطعنة في الحجاب الذي جعله الله بينهما، فحماه الله منه.

[٥] رواه البخاري (٣٢٨٦)، ومسلم عُقيب الحديث رقم (٢٣٦٦).

- فنشأت مريم نشأة نبوية في كفالة وكنف النبي زكريا، نشأت صالحة عابدة قانتة لله جل وعلا، وكان لها محراب تتعبد فيه في مسجد بيت المقدس، وحصل لها شيء من المعجزات التي تدل على كرامتها عند الله، فكان زكريا يدخل عليها المحراب فيجد فاكهة الصيف في فصل الشتاء، وفاكهة الشتاء في فصل الصيف. قال الله عنها ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنَّى لكِ هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

فضائل مريم وكرامتها عند ربها

- من دلائل فضيلة مريم أن الملائكة كلَّمتها، وأخبرتها باصطفاء الله واختياره لها لأن تكون خير نساء العالمين في ذلك الزمان، قال الله في القرآن ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاكِ وطهَّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين * يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾. والاصطفاء هو الاختيار.

- ومن دلائل فضل مريم أن الملائكة نقلت لها بشارةً من عند الله بأنها ستحمِلُ بولدٍ اسمه المسيح عيسى ابن مريم، ليس هذا فحسب؛ بل بشَّرتها بأن ابنها المسيح ليس كسائر الأبناء، بل له مكانة عظيمة عند الله وعند الناس، ومن المُقرَّبين عند الله، قال الله في القرآن ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم **وجيها** في الدنيا والآخرة ومِن **المُقربين**﴾.

- تلقت مريم هذه البشارة من عند ربها بالقبول، مع أنها تعجبت منها أيَّما تعجب، إذ كيف يكون لها ولد وهي ليست ذات زوج!

وقد أخبر الله في القرآن عن تعجب مريم فقال عنها ﴿قالت ربِّ أنَّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلكِ الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾.

معنى ﴿لم يمسسني بشر﴾ أي لم يتصل بي بشر من خلال العلاقة الجنسية.

ومعنى الآية أن الله على كل شيء قدير، إذا أراد شيئا فإنما يقول له (كن) فيكون ذلك الشيء، ومنه ما حصل لمريم، إذ قال الله (كن) فكان المسيح في بطن أمه بهذه الكلمة، ولهذا يوصف المسيح بأنه (كلمة الله) لأنه كان بها كما في قوله تعالى ﴿بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾.

- ومن اللطائف أن هذا الخبر القرآني متوافقٌ مع ما جاء في إنجيل لوقا (١/٢٨-٣١، ٣٤، ٣٧):

٢٨ **فدخل إليها الملاك وقال: سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك. مباركة أنت في النساء.**

٢٩ **فلما رأته اضطربت من كلامه، وفكرت: ما عسى أن تكون هذه التحية.**

٣٠ **فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم، لأنك قد وجدت نعمة عند الله.**

٣١ وها أنت ستحبِـلين[1] وتلدين ابنا وتسمينه يسوع.

٣٤ فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا؟

فأجابها الملاك:

٣٧ لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله.

- ومع تلقي مريم لبشارة الملائكة لها بالمسيح بالقبول والرضا، إلا أنها حملت همًّا عظيما، إذ مَن يُقنع قومها بحقيقة الأمر في أن حملها بالمسيح بهذه الصورة الغير طبيعية كان بأمر الله، فهم لا يعلمون حقيقة الأمر، وبالتالي فسيعتمدون على ظاهر الحال ويتهمونها بالزنا، فلهذا حملت همًّا عظيما، وتمنت الموت على أن يتهمها قومها بالزنا.

- ومن اللطائف أن النساء المسلمات هُـنَّ خير من اقتدى بمريم، لأنهن يؤثِرن الموت على فعل الفاحشة، التي هي الاتصال الجنسي مع غير الزوج، بخلاف ما وصل إليه حال النساء المسيحيات، من التساهل العظيم في هذا الموضوع، وانتشار الصداقات والعلاقات بين الجنسين خارج إطار الزوجية، حتى القساوسة يفعلون ذلك مع الراهبات وغيرهن من نساء الرعية، في الكنائس وخارجها، في اعتداء مكشوف على كرامة النساء وأزواجِهن، ومخالفة صريحة لتعاليم المسيح وجميع الأنبياء، والآداب التي يتحلى بها كِرام الناس ونسائهم، لاسيما مريم العذراء على وجه الخصوص.

فهل يُعقل أن تكون هذه السلوكيات التي هي جزء من شخصية القساوسة ترجمة لسلوكيات المسيح؟ حاشا وكلا.

استطراد

والأعجب من ذلك ما يُلقيه رجال الكنيسة على مسامع الناس من أن المرأة المسلمة مضطهدة ومحتقرة، في حين أن الواحدة من نسائهم إذا دعاها القسيس للفِراش جاءت ذليلة مقهورة، لكونها لا تستطيع رد طلبه، حتى ولو كانت متزوجة، فإنها تخون زوجها إرضاء للقسيس، لما لرجال الدين من هيمنة وسلطة ومهابة في قلوب أفراد الرعية، واعتقادهن بأنَّهُن إن أرضين القسيس فقد أرضين الرب، حاشاه من ذلك، وهذا سُخف وضحك على العقول، وابتزاز مكشوف لأعراض النساء، إذ لو كان في هذا إرضاء للرب فلماذا يطلبه القسيس سرا، ويفعل العلاقة معها سرا؟!

ولماذا لم يأمر به المسيح في أيٍّ من الأناجيل الأربعة وغيرها؟

خاطرة لطيفة – أين حقيقة مقولة (الله محبة)؟

إن مِن حقِّ المثقفين والمثقفات أن يتساءلوا عن مقولة (الله محبة) التي يرددها القساوسة كثيرا في الكنائس، في حين أنه على الجانب الآخر من الكنائس توجد غرف تعذيب لِمن يوجه أسئلة منطقية محرجة إلى أحد من القساوسة عن عقائد المسيحية؟

ومِن حقِّ المثقفين والمثقفات أن يتساءلوا أيضا عن ظاهرة ابتزاز القساوسة لأعراض البنات والراهبات بالسر، فأين أثر مقولة (الله محبة) في الواقع، وما هي حقيقتها؟!

---

[1] تحبلين أي تحملين.

- ومن دلائل فضل مريم أن جبريل – وهو أعظم الملائكة – بشَّرها مرة أخرى بأنها ستحمل بالمسيح، وقد تقدم أن الملائكة بشرتها قبل ذلك، فجاء جبريل – أعظم الملائكة – ليُبشِّرها ولِـيُـنَـفِّـذَ هذه البشارة، فتمثَّل لها على هيئة البشر، وجاءها وهي في ناحية من بيت المقدس لا يراها أحد، وأخبرها بأنه قد جاء موعد تحقيق البشارة التي أخبرها بها الملائكة من قبل، وهي حملها بالمسيح، فاستغربت مريم هذه البشارة مرة أخرى وسألت جبريل: كيف لي أن أحمل وأنا لستُ ذات زوجٍ ولست بَغِيًّا تفعل الفاحشة مع الرجال؟

فأجابها المَلَكُ جبريل بأنه هذا هو أمر الله واختياره، وليس لنا إلا قبول أمر الله وتنفيذه، والله له الحكمة البالغة في كل شيء، ففعل جبريل ما أمره به ربه سبحانه وتعالى، فنفخ في جيب قميص مريم، فوصلت النفخة إلى فرجِها ثم إلى رحِمِها، فحملت بالمسيح كما تحمل النساء من أزواجِهن، فمكث جنينها في بطنها تسعة أشهر، ثم ولدته، قال الله في سرد هذه القصة، وهي في سورة «مريم» من القرآن الكريم:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

التعليق على الآيات:

هذا الحمل حصل في رَحِمِ مريم من أمٍّ بلا أبٍ، وهو يدل على كمال قدرة الله تعالى، وهو أمر ليس بالهَـيِّـن، ولكنه هَـيِّـنٌ على الله، والحكمة من خلقِه بهذه الصورة أن يكون في هذا دلالة وعلامة للناس على قدرة الله الذي نَـوَّع في خلقهم، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى، إلا المسيح فإنه أوجده

من أنثى بلا ذكر، فتمت بخلق المسيح القسمة الرُّباعية[1] الدالة على كمال قدرة الله وعظيم سلطانه، وليس هذا على الله بعزيز، فخلق السماوات والأرض أعظم من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يتفكرون.

فالله قادر على أن يخلق بشرا من ذكر وأنثى، كما هو حال سائر البشر، وقد يخلق من غير ذكر وأنثى، كحال أبينا آدم، وقد يخلق من ذكر بلا أنثى، كحال أمنا حواء التي خلقها الله من ضِلع آدم، وقد يخلق من أنثى بلا ذكر، كحال المسيح ابن مريم، وقد يخلق من الرجل الكبير ومن الأم العاقر، كحال الأنبياء إبراهيم وزكريا، وقد لا يخلُق من الذكر والأنثى شيئا، لا ذكر ولا أنثى، كحال من به عُقم، وقد يخلق من الزوجين ذكورا بلا إناث، وقد يخلق منهما إناثا بلا ذكور، وقد يخلق منهما إناثا وذكورا، فالله قادر على كل شيء، سبحانه وتعالى، إذا أراد شيئا فإنما يقول له "كن" فيكون، كما قال الله في القرآن ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وقال الله في القرآن ﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير﴾، ومعنى الآية الكريمة: لله سبحانه وتعالى ملك السموات والأرض وما فيهما، يخلق ما يشاء من الخلق، يهب لمن يشاء من عباده إناثًا لا ذكور معهن، ويهب لمن يشاء الذكور لا إناث معهم، ويعطي سبحانه وتعالى لمن يشاء من الناس الذكر والأنثى، ويجعل مَن يشاء عقيمًا لا يولد له، إنه عليم بما يَخْلُق، قدير على خَلْق ما يشاء، لا يعجزه شيء أراد خلقه.

فالحاصل أن خلْق المسيح كان آية ودلالة للناس عامة ولِبني إسرائيل خاصة على عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى واتصافه بالخلق كما يشاء، فليس أمامنا بعد هذا إلا الإيمان بذلك وتعظيم الرب في نفوسنا.

- ومن اللطائف أن هذه الحكمة من خلق المسيح من أم بلا أب مذكورة في المراجع المنتشرة بأيدي المسيحيين اليوم، ومع هذا فهم لا يؤمنون بها، بل يقولون قولا آخر وهو إن المسيح له أب وهو الله، تعالى الله عن ذلك، ففي سِفر أشعياء (١٤:٧) جاءت البشارة بحمل مريم بالمسيح، وبأن حمله كان آية على قدرة الله:

«**ولكن يعطيكم السيد نفسه آية: هالعذراء تحبِل وتلد ابنا وتدعو اسمه (عمانوئيل)**».

والسيد هو الله، والآية أي الآية والعلامة على قدرته، ومعنى تَحبِل أي تحمِل، و «**عمانوئيل**» هو أحد أسماء المسيح.

- ومن اللطائف أن أول شيء نطق به المسيح وهو في المهد هو الإقرار بأنه عبد لله، وذلك عندما سأل اليهود أمه عن هذا الطفل من أين أتيتِ به، فلم يقل إنه ابن الله، ولو كان كذلك لقالها، لأنه شرف له لو كان حقًّا، ولأن المقام يقتضيه ليدفع

[1] المقصود بالقسمة الرباعية أن الناس ينقسمون في كيفية خلقهم إلى أربعة أقسام:
القسم الأول مَن وُلِدَ بلا ذكر ولا أنثى، وهو أبونا آدم، خلقه الله من طين.
القسم الثاني مَن وُلِدَ مِن ذكر بلا أنثى ، وهي أُمُّنا حواء، خلقها الله من آدم، من أحد أضلاعه.
القسم الثالث مَن وُلِدَ من أنثى بلا ذكر وهو المسيح عيسى ابن مريم.
القسم الرابع مَن وُلِدَ من ذكر وأنثى، وهم عامة الناس.

التهمة عن أمِّهِ، بل قال ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

أيها القارئ الكريم والقارئة الكريمة، ماذا بعد هذا الوضوح من وضوح على أن المسيح عبدٌ لله، وبشر، ورسول، ليس ربا، ولا ابن الربِّ؟

حصول الطمأنينة لمريم بعد طمأنة ابنها لها لمَّا ولدتهُ

بيَّن الله في كتابه أن مريم أصابها همٌّ عظيم لما ولدت ابنها المسيح، حيث أنها تعلم أن الناس سيتهمونها بالزنا لكونه من المعلوم عندهم أنها ليست ذات زوج، فليس في تصورهم مجال لأن تحمِل إلا من طريق الزنا، لأنهم يعلمون أنها غير متزوجة، قال الله في القرآن ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾.

فالمسيح طمْأن أمه بعدما ولدته، وهذا من أول علامات الخير فيه، فأمرها بتناول الرُّطب، وشُرْب الماء من السَّري وهو جدول الماء، كما أوصاها بأن تعتذر لقومها عن إجابتهم إذا سألوها عنه من أين أتت به بأنها صائمة، وكان الصوم في شريعتهم هو الإمساك عن الكلام، فلما رأت مريم من ولدِها هذه المعجزات عرفت أنه نبي، فأيقنت بوعدِ ربها، وفعلت ما أمرها به ولدها النبي، لأنه لا يمكن أن يتكلم بهذا الكلام العظيم إلا بوحيٍ من الله، فحصلت لها الطمأنينة القلبية، وقامت من مكان وضعِها، ورجعت إلى قومها كعادتها، فلما رأوها حاملة ولدها الرضيع سألوها مستغربين (من أين لكِ هذا الصبي المولود، فأنتِ من بيت دينٍ وشرف، ومثلكِ لا يفعل الفاحشة؟)، فكان ردها لهم هو رد الواثقة بربها، أن أشارت إلى صبيها أنِ اسألوه، فهو الذي سيتولى الإجابة عن سؤالكم، فاستغربوا ذلك الجواب منها، إذ ليس من المعهود أن يتكلم من كان في المهد أو يجيب عن أسئلة من حوله، فتكلم عليه السلام بكلام عظيم أزال عنهم الدهشة، إذ علِموا أنه نبي، والنبي لا يتكلم إلا بالحق، فحصلت الطمأنينة النهائية لمريم في ذلك الموقف، وكان هذا من أعظم البر بوالدته.

وكان أول ما تكلم به المسيح هو الإقرار بأنه عبدُ لله، حيث قال ﴿إني عبد الله﴾، أي لستُ معبودا، ولا ابنا لله، بل عابدٌ لله، ثم قال ﴿آتاني الكتاب﴾ أي الإنجيل، فقد قضى الله بأن يؤتيه هذا الكتاب إذا كَبِر، ثم قال ﴿وجعلني نبيا﴾، أي مرسلٌ إليكم، ولم يقل (جعلني إلٰها)، ولم يقل (جعلني ابن الله)، ولا غير ذلك من الأقوال التي قالها المسيحيون عنه بعد رفعه إلى السماء، بل قال ﴿وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبَـرًّا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا * والسلام علي يوم وُلِدت ويوم أموت ويوم أُبعث حيا﴾.

خاتمة قصة مريم

وبعدما سَرَدَ الرب هذه القصة العظيمة في القرآن قال بعدها مباشرة ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾.

ومعنى هاتين الآيتين: إن هذا الذي قصصنا عليك يا محمد هو خبر وقصة المسيح عيسى ابن مريم، التي وقع فيها الشك والارتياب عند طوائف النصارى (المسيحيين)، فانقسموا فرقا وأحزابا.

وليلاحظ القارئ أن الله نَسَبَ المسيح إلى أمه مريم ولم ينسبه إلى نفسه، لأنه ابن مريم وليس له أب، ولو كان الله أبوه لنسبه إلى نفسه، لأن المقام يقتضي ذلك، فمن المعلوم أن الإنسان يُنسب إلى أبيه، فلما عُدِم ذلك في حالة المسيح نسبَه الله إلى أمه فقال ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾.

ثم أكَّد الله ذلك فقال ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾، أي أن الله لا يمكن أن يتخذ ولدا، لأن اتخاذ الولد يلزم منه أن الله محتاج إلى خلقه، وهذا يتنافى مع كون الرب غني عن العالمين كلهم، إذ هو الذي خلقهم وأوجدهم، فكيف يصير محتاجا لهم بعد ذلك؟

ولهذا قال الله بعدها ﴿سبحانه﴾، أي تعالى الله عن ذلك.

ثم قال في ختام هذا المقطع ﴿إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾، وهذا كقوله في الآية الأخرى في سورة آل عمران ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴾، أي لا تكوننَّ يا محمد من الشاكِّين في خبر المسيح، فقد جاءك الحق من ربك.

- ومن الدلائل على فضل مريم في دين الإسلام أن سورتين كاملتين من سُوَرِ القرآن سُمِّيَتا باسمها واسم عائلتها، الأولى سورة «مريم»، والثانية سورة «آل عمران».

اضطراب النصارى في عقيدتهم في مريم اضطرابا شديدا

انقسم النصارى في اعتقادهم في أمه مريم العذراء إلى طوائف، فقد اختلفت الطوائف الكبرى الثلاث من طوائف النصارى حول مريم العذراء اختلافا كبيراً، حيث يرى فيها الأرثوذكس أنها وُلِدت كأي إنسان آخر حاملة للخطية، ومثل الأنبياء والقديسين.

وأما الكاثوليك فيعتقدون أنها بريئة من الخطية مثل المسيح وبلا دنس، ويعتقدون أنها صعدت حية إلى السماء، وصنعوا لها التماثيل في كنيستهم، ويصلون لها، ويعتقدون بالثالوث المَرْيَمِي حتى في الصلوات، ويدمجونها مع الثالوث الأقدس عندهم.

وأما البروتستانت فيعتبرونها مخلوقة عادية كغيرها، ويعترضون على تسميتها «الإلٰه»، وأم الإلٰه، وزوجة الرب وصاحبته، ويعتقدون أنها أم يسوع فقط، فهي لم تلد اللاهوت، وإنما ولدت جسداً فقط، وقال بعضهم إنها قشرة البيضة التي خرج منه الكتكوت.

وقد اتفق الأرثوذكس والكاثوليك على بُتولِية العذراء – أي انقطاعها عن الرجال – وعدم وجود إخوة للمسيح بالجسد.

وأما القساوسة الأولين فنادوا بأن مريم منزهة عن الخطيئة الأصلية مثل المسيح، ويرون أن مكانتها تتلخص في كونها أم الله، فهم يُكَرِّمونها ويقومون بعمل صوم لها وأعياد في الوقت نفسه.

وأما اليهود فهم على الجانب الآخر تماما، فهم يرون أنها ارتكبت الزنا، وحملت بالمسيح وولدته.

ثم جاء الإسلام فحسم هذا الاضطراب المشين في الاعتقاد في مريم العذراء، فبين القرآن أن مريم بنت عمران كانت عابدة لله، شريفة صِدِّيقة تقية نقية، لم تعبد غير الله، ولم تدعو الناس إلى عبادتها ولا عبادة ابنها، وقد جاء ذكرها في مقام الاحترام والتبجيل في ٣١ موضعا من القرآن، وورد ذكر اسم ابنها المسيح عيسى ابن مريم في القرآن ٢٥ مرة، وورد ذكره بوصفه (المسيح) ٩ مرات، كلها في مقام الاحترام والتعظيم والتبجيل، ولكن هذا الاحترام والتعظيم هو بالقدر اللائق بالبشر، فلا يتضمن اعتقاد أن لهما شيئا من صفات الربوبية أو الألوهية، بل هما بشر مثلنا، ليس لهم من خصائص الربوبية ولا الألوهية شيء، ويعبدون الله كما نعبده نحن، ويرجونه الجنة والنجاة من النار كما نرجوه نحن.

كما ينص دستور الإسلام على أن مريم بنت عمران حملت بالمسيح بكلمة الله (كن) فكان المسيح في بطنها، وبقي في بطنها البقاء في مراحل تكون الجنين كغيره، ثم ولدته كما تلد النساء أبناءهن.

مكانة المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين

فرَّط اليهود في حق المسيح، فكفروا بنبوته وكذَّبوه، واتهموا أمه بالزنا، حاشاها من ذلك.

وأفرط النصارى في حقه، فرفعوه فوق بشريته، فقالوا إنه هو الله، وابن الله، وثالث ثلاثة، ومنهم من قال إن له طبيعة واحدة، ومنهم من قال له طبيعتان، ومنهم من قال له مشيئة، ومنهم من قال له مشيئتان.

وأما الحواريون ومؤلفو الأناجيل الأربعة فلم يذكر عنهم كلمة واحدة عن المسيح أنه قال إنه رب أو ابن الرب أو ثالث ثلاثة، ولا كلمة واحدة أنه قال للناس: اعبدوني.

وأما دين الإسلام فبَيَّن الحقيقة الناصعة البيضاء، وهي أن المسيح بشر رسول، خلقه الله في رحم أمه مريم بكلمة (كُن) فكان المسيح في رحم أمه، والله قادر على كل شيء، ثم أرسله الله إلى بني إسرائيل، وأمرهم بعبادة الله وحده، كما أخبر الله عنه في القرآن بقوله:

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ **اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1].

وقال الله عن المسيح أنه قال لقومه ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن **اعبدوا الله ربي وربكم**﴾[2].

وقال الله عن المسيح أنه قال لقومه ﴿إن **الله ربي وربكم** فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[1].

[1] سورة المائدة: ٧٢.

[2] سورة المائدة: ١١٧.

وقال الله عن المسيح أنه قال لقومه ﴿إن **الله هو ربي وربكم** فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[٢].

وفي سورة مريم أنه قال لقومه ﴿**وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم**﴾[٣].

وقال الله تعالى ﴿ما كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.

تفسير هذه الآية الكريمة أنه يمتنع ويستحيل على بشرٍ مَنَّ الله عليه بالنبوة وإنزال الكتاب عليه أن يقول للناس: (اعبدوني من دون الله)، فهذا من المستحيل صدوره من أحد من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، لا المسيح ولا غيره، لأن هذا هو أقبح الأوامر على الإطلاق، بأن يرسل الله رجلا نبيا، ثم ينصِبُ نفسه ربا لا نبيا، فإن هذا من المستحيل صدوره من الأنبياء، لأن الأنبياء هم أكمل الخلق على الإطلاق، وأشد الناس عبودية لله تعالى، واتباعا لأوامره، وأوامرهم للناس مطابقة لما أمرهم الله به، وهو دعوة الناس إلى التوحيد، وإفراد الله بالعبادة، والتحذير من الأمور القبيحة، التي أعظمها وأشدها الشرك بالله، واتخاذُ غيره إلٰها وربا.

وقد كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى يعبد بعضهم بعضا، يعبدون أحبارهم ورهبانهم، كما قال الله تعالى عنهم ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أُمِروا إلا ليعبدوا إلٰها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾، أي يعبدون الأحبار والرهبان، ويعبدون المسيح أيضا، مع أن الله ما أمرهم بذلك، بل أمرهم بضده، وهو ترك عبادة كل ما سوى الله، وعبادة الله وحده لا شريك له.

ثم بين الله حقيقة ما يأمر كل نبي قومه فقال ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾، أي أن كل نبي كان يأمر قومه بأن يكونوا ربانيين، أي حكماء فقهاء علماء، هذا معنى كلمة (ربانيين)، وأمرهم بأن يكونوا ربانيين حقٌّ عليهم بما دَرَسوه وحفِظوه وعلِموه من ذلك الكتاب الذي أنزله الله عليهم، وبما علَّموه الناس من الهدى والإرشاد المذكور في ذلك الكتاب، فإن تعليم المعلم للناس الخير يستوجب أن يَمتثل هو ما علَّمه إياهم، ويكون قدوة لهم.

فالحاصل أن مقولة إن الأنبياء أمروا أقوامهم بعبادتهم هم أنفسهم مقولة كاذبة، بل الأنبياء أمروا بعبادة الله، ونهوا عن عبادة ما سواه.

وصْفُ الله للمسيح في القرآن بأنه «كلمة الله»

جاء وصفُ المسيح في القرآن بأنه «كلمة الله»، لأنه خُلِق بكلمة «كُن» فقط، فكان تأثير هذه الكلمة بمنزلة ماء الرجل إذا التقى بماء المرأة في رحِمها.

كما جاء وصفُ المسيح بأنه رُوحٌ من عند الله، أي أن روحه مخلوقة، خلقها الله كأرواح غيره من البشر، كما في قوله تعالى في القرآن ناصحا أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى (المسيحيون):

---

[١] سورة آل عمران: ٥١.

[٢] سورة الزخرف: ٦٤.

[٣] سورة مريم: ٣٦.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلا الْحَقَّ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ** فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا * لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾.

حال بني إسرائيل قبل بِعثَة المسيح إليهم

مقدمة

كانت النبوة لا تنقطع في بني إسرائيل، وكانوا ملوكا، كما قال الله في سورة المائدة ﴿وإذ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم ما لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِن الْعَالَمِينَ﴾.

ولكن بنو إسرائيل لم يحمدوا الله على هذه النعمة، فقد بلغوا في الطغيان مبلغا عظيما، وقست قلوبهم، ونَسُوا ما ذُكِّروا به، وشاع بينهم الربا والزنا، وكانوا يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، بل **ويقتلون النبيين**، وحرَّفوا ما بأيديهم من التوراة، فاجترؤوا على كتاب الله وعلى أنبياءه جرأة عظيمة لم يجترئها أحد قبلهم، فأرسل الله إليهم المسيح الذي خلقه الله من أم بلا أب، بكلمة (كن) فكان المسيح في بطن أمه، ومع هذا فلم يؤمنوا بالمسيح، مع أن الله أيده بمعجزات كثيرة تدل على نبوته، فقرروا قتله، فحماه الله منهم، ورفعه إليه في السماء.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله تعالى عن أهلِ الكتاب (اليهود والنصارى) ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ **فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ** وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1]:

نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حَمَلوا الكتاب مِن قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمَد[2] بدَّلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفَكة[3]، وقلَّدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا[4] من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعدٍ ولا وعيد.

﴿وكثير منهم فاسقون﴾ أي في الأعمال، فقلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة، كما قال تعالى ﴿فبما نقضِهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به﴾[5]، أي: فسدت قلوبهم فقست، وصار من

---

[1] سورة الحديد: ١٦.

[2] طال عليهم الأمد أي طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال يقينهم. قاله ابن سعدي في تفسير الآية.

[3] المؤتفَكة أي المكذوبة.

[4] أربابا جمع لكلمة (رب).

[5] سورة المائدة: ١٣.

سِجِيَّتِهم تحريف الكَلِم[1] عن مواضِعه، وتركوا الأعمال التي أمروا بها، وارتكبوا ما نُهوا عنه، ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية.

وروى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود حديثا ما سمعت أعجبَ إلي منه، إلا شيئا من كتاب الله، أو شيئا قاله النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم **اخترعوا كتابا من عند أنفسهم**، استهوته قلوبهم، واستحْلَته ألسنتهم واستلذَّته، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا: (تعالوا ندعُ بني إسرائيل إلى كتابنا هذا، فمن تابَعَنا عليه تركناه، ومن كرِه أن يُتابعنا قتلناه)، ففعلوا ذلك، وكان فيهم رجل فقِيه[2]، فلما رأى ما يصنعون عَمَد إلى ما يَعرِف من كتاب الله فكتبه في شيء لطيف، ثم **أدرجه**، فجعله في قرنٍ[3]، ثم علَّق ذلك القرن في عنقه، فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، إنكم قد أفشيتم القتل في بني إسرائيل، فادعوا فلانا فاعرِضوا عليه كتابكم، فإنه إن تابعكم فسيُتابعكم بقية الناس، وإن أبى فاقتلوه.

فدَعوا فلانا ذلك الفقيه فقالوا: تؤمن بما في كتابنا؟

قال: وما فيه؟ اعرضوه علي.

فعرضوه عليه إلى آخره، ثم قالوا: أتؤمن بهذا؟ قال: (نعم، آمنتُ بما في هذا) – وأشار بيده إلى القَرن – فتركوه، فلما مات نبَشوه فوجدوه مُتَعلِّقًا ذلك القرن، فوجدوا فيه ما يُعرف من كتاب الله، فقال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، ما كنا نَسمع هذا، أصابه فتنة.[4]

فافترقت بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين ملة، وخير مللِهم ملة أصحاب ذي القرن.

قال ابن مسعود: وإنكم أوشكَ بكم إن بقيتم (أو: بقِي من بقي منكم) أن تروا أمورا تنكرونها، لا تستطيعون لها غِيَرًا[5]، فبِحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره.

وروى أبو جعفر الطبري عن عتريس بن عرقوب أنه جاء إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال:

يا عبد الله، هلك من لم يأمر بالمعروف ويَنْهَ عن المنكر.

فقال عبد الله: هلك من لم يعرف قلبُه معروفا ولم ينكر قلبُه منكرا، إن بني إسرائيل **لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم** اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم، استهوته قلوبهم، واستحْلَته ألسنتهم، وقالوا: نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب، فمن آمن به تركناه، ومن كفر به قتلناه.

قال: فجعل رجل منهم كتاب الله في قرنٍ، ثم جعل القرن بين ثندِوتيه[6]، فلما قيل له: أتؤمن بهذا؟

---

[1] الكَلِم أي كلام الله، المُدوَّن في التوراة والإنجيل.

[2] فقيه أي عنده علم وفقه في الدين.

[3] القرن شيء مجوف مثل الأنبوب، يشبه قرن الحيوان.

[4] معنى كلامهم أنهم ما كانوا يسمعون هذا الكلام الذي هو مكتوب في القرن، وأن الرجال أصابته فتنة في دينه.

[5] غِيَرًا أي تغييرا.

[6] أي ثدييه.

قال: آمنت به – ويومئ إلى القرن بين ثندِوتيه – ومالي لا أؤمن بهذا الكتاب؟

فمِن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن.

بنو إسرائيل يقتلون النبيين

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

هذا ذم من الله تعالى لأهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديما وحديثا، التي بلَّغتهم إياها الرسل، استكبارا عليهم وعنادا لهم، وتعاظُما على الحق واستنكافا عن اتِّباعه، ومع هذا قتَلوا من قتلوا من النبيين حين بلَّغوهم عن الله شرعَهُ، بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم، إلا لِكونهم دعوهم إلى الحق.

﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقِسط من الناس﴾، وهذا هو غاية الكِبْرِ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: الكِبْرُ بَطَرُ الحق[2] وغَمْطُ الناس[3].[4]

وروى ابن أبي حاتم عن أبي عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد عذابا يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبيا أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾، إلى قوله ﴿وما لهم من ناصرين﴾.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا عبيدة، قتَلَت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة رجل وسبعين رجلا من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقُتِلوا جميعا من آخر النهار من ذلك اليوم، فهُم الذين ذكر الله عز وجل.

ورواه ابن جرير به إلا أنه قال: مائة رجل واثنا عشر رجلا من بني إسرائيل.

وعن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال: قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبي من أول النهار، وأقاموا سوق بَقْلِهم من آخره. رواه ابن أبي حاتم.

ولهذا لما أن تكبروا عن الحق واستكبروا على الخلق، قابلهم الله على ذلك بالذِّلة والصَّغار[5] في الدنيا والعذاب المهين في الآخرة، فقال تعالى﴿ فبشرهم بعذاب أليم﴾، أي: مُوجع مُهين.

---

[1] سورة آل عمران: ٢١.

[2] بَطَرُ الحق أي رده. انظر «النهاية» لابن الأثير.

[3] غَمْطُ الناس أي استحقارهم. انظر «النهاية» لابن الأثير.

[4] رواه مسلم (٩١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[5] الصَّغار هو الذلة والحقارة.

﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾.

انتهى كلام الحافظ ابن كثير باختصار يسير.

قلت: وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة في قوله ﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾، قال: هؤلاء أهل الكتاب، كان أتباع الأنبياء ينهونهم ويُذَكِّرونهم بالله فيقتلونهم.

***

وقال الله في اليهود: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ **وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ** بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

وقوله تعالى ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق﴾، يقول تعالى:

هذا الذي جازيناهم من الذلة والمَسْكنة وإحلال الغضب بهم من الذلة بسبب استكبارهم عن اتباع الحق، وكفرهم بآيات الله، وإهانتهم حملةَ الشرع وهُم الأنبياء وأتباعهم، فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم، فلا كُفر أعظم من هذا، إنهم كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياء الله بغير الحق، ولهذا جاء في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الكِبْرُ بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس.

بنو إسرائيل يُحَرِّفون التوراة – دلالة القرآن على تحريف التوراة والإنجيل الأصليين

قال الله تعالى في وصف اليهود ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ** وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

﴿فبما نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُم﴾، أي: بسببه[3] عاقبناهم بعدة عقوبات:

الأولى: أنا ﴿لعَنَّاهُمْ﴾، أي: طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا، حيث أَغلقوا على أنفسهم أبواب الرحمة، ولم يقوموا بالعهد الذي أُخِذ عليهم، الذي هو سببها الأعظم.

الثانية: قوله ﴿وجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾، أي: غليظة لا تُجدي فيها المواعظ، ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يُزَغِّبهم تشويق، ولا يُزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد، أن يكون قلبه بهذه الصفة التي لا يفيده الهدى والخير إلا شرا.

---

[1] سورة البقرة: ٦١.

[2] سورة المائدة: ١٣.

[3] أي بسبب النقض.

الثالثة: أنهم ﴿يُحرفون الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ﴾ أي: أبـتُـلوا بالتغيير والتبديل، فيجعلون للكلِم الذي أراد الله معنىً غير ما أراده الله ولا رسوله.

الرابعة: أنهم ﴿نسوا حَظًّا مِـمَّا ذُكِّرُوا به﴾، فإنهم ذُكِّـروا بالتوراة، وبما أَنزل الله على موسى، فنسوا حظا منه، وهذا **شاملٌ** لنسيان علمِهِ، وأنهم نسوه وضاع عنهم، ولم يوجد كثير مما أنساهم الله إياه عقوبة منه لهم، **وشاملٌ** لنسيان العمل الذي هو الترك، فلم يوفقوا للقيام بما أُمِروا به، ويستدل بهذا على أهل الكتاب بإنكارهم بعض الذي قد ذُكِـر في كتابهم، أو وقع في زمانهم، أنه مما نسوه.

الخامسة: الخيانة المستمرة التي ﴿لا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُم﴾، أي: خيانةٍ لله ولعباده المؤمنين. ومن أعظم الخيانة منهم كتمهم عمَّن يعِظهم ويُحسِن فيهم الظن الحق، وإبقاؤهم على كفرهم، فهذه خيانة عظيمة.

وهذه الخصال الذميمة حاصلة لكل من اتصف بصفاتهم. فكل من لم يقم بما أمر الله به، وأخذ به عليه الالتزام، كان له نصيب من اللعنة وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، وأنه لا يوفق للصواب، ونسيانُ حظٍّ مما ذُكِّر به، وأنه لا بد أن يُبتلى بالخيانة، نسأل الله العافية.

وسمى الله تعالى ما ذُكِّـروا به حظا، لأنه هو أعظم الحظوظ، وما عداه فإنما هي حظوظ دنيوية.

انتهى كلامه رحمه الله من كتابه «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان».

***

وقد زجر الله اليهود ووبَّـخهم على إخفاء الحق المذكور في التوراة فقال ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ **تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا**﴾[1]، ومعنى الآية أنكم أيها اليهود تجعلون هذا الكتاب في قراطيس متفرقة، تظهرون بعضها، وتكتمون كثيرًا منها، ومما كتموه: الإخبار عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله:

﴿من أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾، وهو التوراة العظيمة، نُورًا في ظلمات الجهل، وَهُدًى من الضلالة، وهاديا إلى الصراط المستقيم علما وعملا، وهو الكتاب الذي شاع وذاع، وملأ ذكره القلوب والأسماع، حتى إنهم جعلوا يتناسخونه في القراطيس[2]، ويتصرفون فيه بما شاءوا، فما وافق أهواءهم منه أبدوه وأظهروه، وما خالف ذلك أخفوه وكتموه، وذلك كثير.

انتهى كلامه رحمه الله من كتابه «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان».

وقال الله تعالى مبينا تحريف اليهود للتوراة: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ **يُحَرِّفُونَهُ** مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

---

[1] سورة الأنعام: ٩١.

[2] أي يكتبونه في القراطيس وهي الأوراق.

وقال الله تعالى عن اليهود أيضا ﴿مِنَ الَّذِينَ **هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾. والمقصود بقوله ﴿الذين هادوا﴾ أي اليهود.

وقال الله تعالى عن اليهود أيضا ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ**﴾.

وقال الله تعالى مخاطبا علماء أهل الكتاب كلهم (اليهود والنصارى) ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ **وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ** وَأَنتُمْ تَعْلَمُون﴾.

وقال الله تعالى عن علماء الكتاب (اليهود والنصارى) ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ **فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً** فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُون﴾.

وقال الله تعالى عن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ **يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ** ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُون﴾.

وهذا الكلام منطبق على الأناجيل الأربعة التي كتبها متى ومرقس ولوقا ويوحنا بعد رفع المسيح عيسى ابن مريم، التي قال علماء النصارى فيها إنها هي الإنجيل الأصلي الذي كان بيد المسيح عيسى ابن مريم والحواريين.

وقال الله تعالى عن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ **تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ** وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِين﴾.

وقال الله تعالى عن اليهود ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا **يَلْوُونَ** أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾.

وتفسير الآية: وإن مِن اليهود لَجماعةً يحرفون الكلام عن مواضعه، ويبدلون كلام الله، ليوهموا غيرهم أن هذا من الكلام المنزل، وهو التوراة، وما هو منها في شيء، ويقولون: هذا من عند الله أوحاه الله إلى نبيه موسى، وما هو من عند الله، وهم يقولون على الله الكذب لأجل دنياهم وهم يعلمون أنهم كاذبون.

إن تحريف علماء النصارى لدينهم هو السبب الأساس الذي أدى إلى وجود الغموض والتناقض في المسيحية المعاصرة (ولا أقول الدين والتعاليم التي جاء بها المسيح عيسى ابن مريم)، ولو أن التوراة والأناجيل التي بأيدي اليهود والنصارى الآن هي نفس التوراة والإنجيل التي كانت بيد موسى والمسيح ابن مريم لما حصل هذا الاضطراب والغموض في دين المسيح إطلاقا، ولكانت مسائل العقيدة ظاهرة جدا، لأن الله وصف التوراة والإنجيل بأنه فيها هدى ونور، والهدى والنور يتنافى مع واقع الغموض والأسرار التي في التوراة والأناجيل الموجودة بأيدي اليهود والنصارى الآن.

فتبين من هذا أن التوراة والأناجيل المعاصرة ليست هي الأصلية التي أنزلها على رسله موسى وعيسى، بل هي مكتوبة بأيدي بشر بعد عصر الأنبياء، وفيها من التحريف المكشوف عن النص الأصلي الشيء الكثير، وبهذا يتبين الفرق بين كلام الله وكلام البشر، والحمد لله على ظهور الحجة وبيان المحجة.

نَـزَعَ اللهُ النبوةَ من بني إسرائيل

نَزَعَ الله النبوة من بني إسرائيل وجعلها في بني إسماعيل، والله يحكم ما يشاء ويختار، فأرسل محمدا من ذرية إسماعيل بن النبي إبراهيم، أرسله إلى الناس كافة، بني إسرائيل وغير بني إسرائيل.

مرحلة شباب المسيح ونبوته

لم يشُبَّ المسيح على اللهو واللعب، ولم ينشغل بما انشغلت به اليهود من الإعراض عن أوامر الله وحب المال والنساء، بل كانت بوادر الإيمان والفضيلة فيه ظاهرة جدا، كما أخبر الله في القرآن عنه أنه كان من أول كلامه لما تكلم في المهد ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا * والسلام علي يوم وُلِدت ويوم أموتُ ويوم أُبعثُ حيا﴾.

وهذا النص متوافق مع ما جاء في إنجيل لوقا (٢:٤٠): «**وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح، ممتلئ حكمة، وكانت نعمة الله عليه**».

فلما بلغ المسيح الثلاثين من عمره أرسل الله إليه أعظم ملائكته وهو جبريل، وأوحى إليه الإنجيل، فيه هدى ونور، فكانت هذه فاتحة النبوة عليه، أرسله الله إلى بني إسرائيل وهم اليهود، وأيده بمعجزات تدل على أنه نبي، فآمنت طائفة به من بني إسرائيل وكفرت طائفة.

وقد كان حال اليهود الذين أرسِل إليهم المسيح لا يرضي الله سبحانه وتعالى، فقد كانوا معرضين عن طاعة الله، معرضين عن تطبيق ما في التوراة من الأوامر، وكانت نفوسهم متكبرة عن سماع الحق، يكرهون من ينصحهم من أهل الفضل، بل كانوا يقتلون الأنبياء، ويُعظِّمون الأحبار والرهبان، ويجعلون لهم حق التشريع، وهذا من الشرك بالله، لأن الله وحده هو الذي له حق التشريع.

فأيد الله المسيح بآيات باهرات تدل على أنه نبي من عند الله، فإذا ثبت لهم ذلك فقد كان ينبغي عليهم الإيمان به وطاعته واحترامه، لأن الأنبياء هم الواسطة بين الله وبين خلقه لتبليغ الشرائع، وبهم يعرف الإنسان طريق الجنة فيتبعه، وطريق النار فيجتنبه.

وقد جاء تقرير أن المسيح أيده الله بآيات باهرات تدل على نبوته في إنجيل يوحنا (٣/١-٢):

«كان إنسان من الفريسيين[١] اسمه نيقوديموس، رئيس لليهود.

هذا جاء إلى يسوع ليلا وقال له: يا مُعَلِّم، نعلم أنك قد أتيت من الله مُعَلِّما، لأن **ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه**».

---

[١] تقدم التعريف بالفريسيين، وبيان أنهم طائفة من غلاة اليهود المتعصبين والمتشددين بالمظاهر الخارجية للورع والتدين، ومنها التقيد بحرفية الشريعة أو الناموس مثل الامتناع عن أداء أي عمل يوم السبت، أو مخالطة غير اليهود، إذ يُعتبرون نجسين، وقد آذوا المسيح عليه السلام. نقلا من «تاريخ النصرانية، مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، ص ٥٩، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع، ط ١.

فقول رئيس اليهود للمسيح (**ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه**) دليل على أن الله أيَّد المسيح بمعجزات دالة على نبوته، لأن البشر لا يستطيعون أن يأتوا بها، ومِن ذلك أنه كان يحيي الموتى، ويشفي الأبرص والأكمه (أي الذي وُلِد أعمى)، ويُـنَـبِّـئ الناس بما يأكلون وما يدَّخرون في بيوتهم من الطعام، وكل هذا بإذن الله، وليس للمسيح فيه قدرة مستقلة وعلم مستقل، لأن المسيح بشر، لا أكثر ولا أقل.

فائدة في بطلان عقيدة الخطيئة الأولى

وهنا فائدة لطيفة، وهي أن رئيس اليهود قال للمسيح: (**يا مُعَـلِّم، نعلم أنك قد أتيت من الله مُعَـلِّما**)، فهنا تقرير أن المسيح أرسله الله إلى اليهود **رسولا ومعلما**، لأن الرسول يُعلِّم الناس الذين أرسل إليهم ما أرسله الله به من العلم، ومن المعلوم أن المسيح قد علَّم الناس الإنجيل، ودلهم على الخير.

ولم يقل رئيس اليهود للمسيح إنه جاء فاديا، أو مُخَلِّصا، أو إنه ابن الله، أو إنه هو الله، ولا غير ذلك من الأقوال السائدة بين جماهير المسيحيين.

والمسيح أقَرَّ هذا اليهودي على كلامه، ولم يقل له إنك مخطئ في كلامك، ولو كان هذا اليهودي مخطئا في كلامه لاعترض عليه المسيح وصحح كلامه، لأن هذه وظيفته كَمُعَلِّم، وهي أن يُقِرَّه على الصواب، ويُصلِح له الخطأ، وإلا لم يكن معلما على الحقيقة.

المسيح يجمع تلاميذه الصادقين حوله لما اشتد إعراض قومه عن دعوته

قال الله تعالى مخبرا عن المسيح لما اشتد إعراض قومه عن الدين الذي جاء به ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا باللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

ومعنى الآية الكريمة: لما استشعر المسيح عيسى ابن مريم منهم التصميم على الكفر نادى في أصحابه الخُلَّص: مَن يكون معي في نصرة دين الله؟ فقال أصفياء عيسى: نحن أنصار دين الله والداعون إليه، صدَّقنا بالله واتبعناك، واشهد أنت يا عيسى بأنا مستسلمون لله بالتوحيد والطاعة.

مرحلة استشعار المسيح لخطر القتل الذي كان اليهود يخططونه له

آمن القليل من اليهود بالمسيح بأنه رسول من عند الله، ومنهم الحواريون، وكفر الكثير منهم، وكانت فلسطين آنذاك تحت حكم الرومان، والرومان وثنيون، لا يؤمن بالله ولا برسله، بل يؤمنون بعددٍ من الآلهة البشرية اخترعوها من عند أنفسهم، آلهة الماشية وآلهة الزرع وآلهة الحرب، وغير ذلك، ولكنهم كانوا لا يبالون باليهود وديانتهم، طالما أنهم لا يخرجون عن طاعتهم أو يقومون بأمور تؤدي إلى حصول الفوضى والاضطرابات الداخلية التي تفسد عليهم ملكهم.

الحاصل أن اليهود ضاقوا ذرعا بالمسيح، فصار يتنقل مع أمه سِرًّا في قرى فلسطين، بصحبة خواص تلاميذه وهم الحواريون، وكان المسيح يتوجس من اليهود نية القتل، وقد جاء تقرير ذلك في إنجيل يوحنا (١/٧):

«وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل، لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا **يطلبون أن يقتلوه**».

والجليل هي أحد بلدان فلسطين.

وقال لليهود كما في إنجيل يوحنا (٣٧/٨):

«أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم. **لكنكم تطلبون أن تقتلوني** لأن كلامي لا موضع له فيكم».

لما اشتد البلاء بالمسيح وشعر بخطر القتل أخبر تلاميذه بأن الله سيرفعه إليه في إشارة واضحة إلى أن اليهود لن يتمكنوا من قتله

جاء التصريح في إنجيل يوحنا (٢٥:٧) بأن اليهود كانوا حريصين على قتل المسيح كما في النص التالي:

«فقال قوم من أهل أورشليم: **أليس هذا هو الذي يطلبون أن يقتلوه؟**»

وفي إنجيل يوحنا (٥٣/١١-٥٧):

«فمن ذلك اليوم تشاوروا **ليقتلوه**.

فلم يكن يسوع أيضا يمشي بين اليهود **علانية**، بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية، إلى مدينة يقال لها أفرايم، ومكث هناك مع تلاميذه.

وكان فُصح اليهود قريبا. فصعد كثيرون من الكور إلى أورشليم قبل الفُصح ليطهروا أنفسهم.

فكانوا يطلبون يسوع ويقولون فيما بينهم، وهم واقفون في الهيكل: ماذا تظنون؟ هل هو لا يأتي إلى العيد.

وكان أيضا رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا أمرا أنه إن عرف أحد أين هو فليدل عليه، لكي يُمسكوه».

رَفْعُ المسيح دون أن يَمَسَّهُ أذى – بطلان عقيدة «صلب المسيح»

ثم لما اشتد اضطهاد بني إسرائيل للمسيح، وشعر بخطر القتل؛ أخبر قومَهُ بأن الله سيرفعه إليه، يريد بهذا طمأنتهم بأن أعداءه من اليهود لن يخلصوا إليه ويقتلوه أو يُلحِقوا به أدنى أذى، وهذا الإخبار من المسيح للحواريين قد جاء ذكره في إنجيل متى (١٥:٩) حين قال المسيح لتلاميذ يوحنا:

«فقال لهم يسوع: هل يستطيع بنو العُرس أن ينوحوا ما دام العريس معهم؟ ولكن ستأتي أيام حين **يُرفع** العريس عنهم، فحينئذ يصومون».

فتأمل أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة قوله (يُرفع العريس)، ولم يقل (يُقتل) أو (يصلب)، ولا غير ذلك من العبارات التي اعتمدت عليها المسيحية المعاصرة في عقيدة أن المسيح قُتِل وصُلِب.

وهذا متوافق أيضا مع ما في يوحنا (١٤/٣): «وكما رفع موسى الحية في البرية **هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان**».

كما جاء في إنجيل يوحنا أن المسيح أخبر قومه بطريق الإشارة أن الله سيرفعه، وأنه لن يقتل ولن يصلب، ففي إنجيل يوحنا (٧ / ٣٢ – ٣٦):

«سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوِه، فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليُمسكوه.

فقال لهم يسوع: أنا معكم زمانا يسيرا بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني.

ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا.

فقال اليهود فيما بينهم: إلى أين هذا مُـزْمِـعٌ[1] أن يذهب حتى لا نجده نحن؟ لعله مُـزْمِـعٌ أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين.

ما هذا القول الذي قال: (ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا؟)»

فقول المسيح (**أمضي إلى الذي أرسلني**) وقوله بعدها (**ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا**) دلالة صريحة على أن المسيح سيرفعه الله إلى السماء ولن يبقى على الأرض، وبناء عليهِ فإن الشخص الذي صلبوه وقتلوه ليس هو المسيح قطعا.

كذلك فلو كان المسيح هو المقتول لكان موجودا، ولكان مكانه معروفا أمامهم قد وصلوا إليه، واليهود سيكونون قد طلبوه ووجدوه وصلبوه وقتلوه – على زعم من يقول ذلك – فكيف يستقيم هذا مع قول المسيح (**ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا**).

والمسيح صادق فيما يقول، لن يكذب على الناس، لأن الكذب صفة رديئة، حاشا الأنبياء أن يتصفوا بها.

وبعبارة أخرى فكلام المسيح لا يتحقق إلا بواحدة من اثنتين، إما أن يخبر المسيح بخبر كاذب، وهو أنهم يطلبونه ولا يجدونه، ثم تتبين الحقيقة في أنهم طلبوه ووجدوه، وهذا مستحيل لأن المسيح لم ولن يكذب.

أو يكون المسيح صادقا، فطلبوه ولم يجدوه، وهذا لا يتحقق إلا برفعه إلى السماء، وحلول شخص آخر مكانه يشبه المسيح، فقتله اليهود ظنا منهم أنه هو المسيح.

وهذه الجرأة ليست مستغربة عليهم، فقتلُ الأنبياء والمُصلِحين هو دأبهم.

وهذا القول هو الحق الذي لا مِرية فيه، وهو الذي صدَّقه القرآن، كلام الله المحفوظ، قال الله في القرآن ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * **بل رفعه الله إليه** وكان الله عزيزا حكيما﴾.

فالحاصل من هذا كله أن المسيح ليس هو المقتول، بل المقتول شخصٌ آخر، وأما المسيح فرفعه الله إليه في السماء، في معجزة عظيمة، وكرامة رفيعة، لم تحصل لنبي قبله، فأعزه الله وخذل أعداءه.

وقد جاء في إنجيل يوحنا (٣١/١٦) أن المسيح قال لأتباعه قبل رفعِهِ أن الله معه، وأنه لن يُسْـلِمَـهُ لأعدائه الذين يريدون قتله، وأنه بهذا سيكون قد انتصر عليهم، وأنه سيغلب العالم، وهذا النص يثبت أن الله أوحى إليه عن طريق المَلَك جبريل

[1] مُزمِعٌ أي عازمٌ.

أن الله سينجيه منهم، كما أن هذا النص ينسف عقيدة الصلب من أساسها، ويثبت عقيدة الرفع إلى السماء دون أن يمسوه بأذى، وإلا فكيف يكون قد غلب العالم مع كونه مغلوبا مصلوبا على خشبة؟ هذا لا يستقيم مع هذا!

وهذه هي العقيدة الصحيحة التي قررها القرآن لاحقا.

فائدة

في قول المسيح (**أمضي إلى الذي أرسلني**) دليل صريح على أنه رسول من عند الله، وليس ابن الله كما يقال.

فائدة في بطلان عقيدة الخطيئة الأولى

هنا فائدة لطيفة جدا، وهي أن المسيح كان حريصا على النجاة من القتل، مما يدل على أنه لم يكن فاديا ولا مخلصا، إذ لو كان كذلك لأسلَمَ نفسه لليهود لتتحقق عقيدة تكفير الخطيئة والصلب التي تنص عليها المسيحية المعاصرة، ولَمَا حاول الفرار منهم والاستخفاء مع أمه في الجليل وغيرها.

شبهة والجواب عليها

فإن قيل إنه قد جاء في إنجيل «متى» (١٥/٣٤) أن الذي كان معلقا على خشبة الصليب قال عند موته (إيلي، إيلي، لِـمَ شبقتني؟)

أي: إلهي، إلهي، لِـمَ تركتني.

فمن الذي قال ذلك؟

فالجواب سهل جدا، وهو أن الذي قال ذلك هو الشخص المصلوب الذي ألقى الله عليه شبه المسيح، فأخذوه وصلبوه وقتلوه ودفنوه، وليس هو المسيح نفسه، كما قال الله في القرآن ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما﴾.

حال بني إسرائيل بعد رفع المسيح وظهور بولس

عاش أتباع المسيح على العقيدة الصحيحة التي رباهم عليها المسيح حينا من الدهر، ولكنهم لاقوا خلالها اضطهادا شديدا من اليهود، لاسيما من بولس اليهودي، فقد كان شديد الاضطهاد للنصارى أتباع المسيح، فلما وجَدَ أن العنف لم ولن يُجدي معهم استعمل أسلوب النفاق، فادَّعى الإيمان بالمسيح، واجتهد في تعلُّم تعاليمه حتى صار من أعلمِهم، ثم بعد هذا كذب عليهم وقال إن المسيح أوحى إليه إنجيلا، فصدَّقه من صدقه، ثم قام بمهمته الدنيئة التي كان يهدف إليها وهي تحريف دين المسيح، بإدخال ما ليس منه فيها، فاخترع عقيدة أن المسيح ابن الله، ثم عقيدة الخطيئة الأولى، ثم عقيدة الفداء، فقام في وجهه كثير من أتباع المسيح، يدل لهذا ما قال بولس عن نفسه كما في «تيموثاوس الأولى» (١:١٥): «أنت تعلم هذا أن جميع الذين في آسيا **ارتدوا عني**».

وقال فيها أيضا (٤:١٦): «في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي، **بل الجميع تركوني**».

٥. الملحق الخامس: شبهة والجواب عليها

احتج بعضهم على أن المسيح هو ابن الله (بُنُوَّة نَسَب) بأن المسيح ليس له أبٌ بشري، فبناء عليه فإن أباه هو الله، هكذا ظنوا.

والجواب عن هذه الشبهة: أن هذا الكلام لا يستقيم، لأن الله خلق أبانا آدم وحواء بلا أم ولا أب، ولم يقل أحد أن أباهما هو الله.

ثم إن الله على كل شيء قدير، لا تَحْكُمه عادة، ولا يُعجزه أمر، فالله قادر على أن يخلق بشرا من ذكر وأنثى، كما هو حال سائر البشر، وقد يخلق من غير ذكر وأنثى، كحال أبينا آدم، وقد يخلق من ذكر بلا أنثى، كحال أمنا حواء التي خلقها الله من ضِلع آدم، **وقد يخلق من أنثى بلا ذكر، كحال المسيح ابن مريم**، وقد يخلق من الرجـــل الكبير ومن الأم العاقر، كحال الأنبياء إبراهيم وزكريا، وقد لا يخلُق من الذكر والأنثى شيئا، لا ذكر ولا أنثى، كحال من به عُقم، وقد يخلق من الزوجين ذكورا بلا إناث، وقد يخلق منهما إناثا بلا ذكور، وقد يخلق منهما ذكورا وإناثا، فالله قادر على كل شيء، سبحانه وتعالى، إذا أراد شيئا فإنما يقول له (كن) فيكون.

قال الله في القرآن ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وقال الله أيضا القرآن ﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور * أو يُزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير﴾، ومعنى الآية الكريمة: لله سبحانه وتعالى ملك السموات والأرض وما فيهما، يخلق ما يشاء من الخلق، يهب لمن يشاء من عباده إناثًا لا ذكور معهن، ويَهَبُ لمن يشاء الذكور لا إناث معهم، ويَهَبُ لمن يشاء من الناس الذكر والأنثى، ويجعل مَن يشاء عقيمًا لا يولد له، إنه عليم بما يَخْلُق، قدير على خَلْق ما يشاء، لا يعجزه شيء أراد خلقه.

وبعد هذا التقرير أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة: أيهما أقرب للعقل والمنطق، أن نقول إن الله خلق المسيح في بطن أمه بكلمة (كن) فكان المسيح في بطن أمه، أم نقول إن المسيح هو ابن الرب، وأنه ذو طبيعتين إلٰهية وبشرية، ونتجاهل كل صفات المسيح البشرية التي رآها الناس بعيونهم، والتي وردت في الأناجيل الأربعة وملحقاتها؟!

أترك الإجابة للقارئ المنصف المتجرد في البحث عن الحق.

٦. الملحق السادس: فائدة في معنى كلمة (ابن الله) الواردة في بعض الأناجيل[١]

- لفظة (ابن الله) الواردة في مواضع من الأناجيل يجب أن يُردُّ فهمها إلى لغة المسيح عليه السلام، وبالرجوع إلى المراجع الإنجيلية نجد أن كلمة الابن تعني **الرعاية والمحبة والهداية والإيمان والتشريف**، وهذا الوصف منطبقٌ على المسيح وتلامذته على وجه الخصوص، كما أنه منطبق على غيرهم من بني إسرائيل ممن اتبع المسيح وعمل بشريعته التي أرسله الله بها.

يدل لهذا المعنى ما جاء في إنجيل يوحنا (١٢/١): (أولاد الله أي **المؤمنون باسمه**).

وفي رسالة بولس إلى أهل رومية (١٤/٨): (لأن كل الذين **ينقادون بروح الله**، فأولئك هم **أبناء الله**).

ثم قال في (١٦/٨): (الروح نفسه أيضا يشهد لأرواحنا **أننا أولاد الله**).

وفي إنجيل متى (٩/٥) قال المسيح: (طوبى لصانعي السلام، لأنهم **أبناء الله** يُدعَون).

وكما في قول المسيح لتلاميذه: (وصَلُّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا **أبناء أبيكم** الذي في السماوات). (متى ٤٤/٥-٤٥).

فألفاظ (ابن الله) التي جاءت في الأناجيل والكتب المقدسة عند المسيحيين استُخدمت في المسيح وفي أتباعه على حدٍّ سواء، وجاءت في حق المؤمنين به ومُحِبِّي الخير والسلام، والمحافظين على العبادات، فتبين بهذا المعنى الحقيقي لهذا المصطلح في الأناجيل (ابن الله)، وأن المقصود ليس البُنُوَّة على وجه النَّسب والتناسل، ولو كان هذا حقا لكان جميع الناس أبناءه، ولما اختص المسيح بها، وهذا لا يقوله أحد.

- ثم إن وصف (الابن) جاء في وصف بشر كثير **جاؤوا قبل المسيح**، فهو وصفٌ لم يُخْتَصَّ به المسيح عليه السلام ومن معه، ومن ذلك ما جاء في العهد القديم قول الله **لداود** عليه السلام: (**أنت ابني**، أنا اليوم ولدتك[٢]، اسألني فأعطيك). (المزامير ٧/٢).

- بل جاء في العهد القديم وصف جميع أولاد آدم بأنهم أبناء الله، كما في سفر التكوين في بداية الإصحاح السادس عند الحديث عن البشر بعد آدم:

"وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض ووُلِد لهم أبناء **أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهم حسَنات**[٣]، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا".

- ويدل لما تقدم أيضا أن كلمة (أبناء الله) يقال في مقابلها (أبناء الشيطان، وأبناء الأفاعي)، كما جاء في الأناجيل في وصف اليهود: (يا أبناء الأفاعي)، والكل يعلم أنهم ليسوا أبناء الأفاعي من النَّسب، ولا أبناء الشيطان من النَّسب، وإنما نُسبوا إلى الأفاعي لمكرهم وخطرهم وسمومهم الفكرية، كما نُسِبوا إلى الشيطان لتلبيسهم وكذبهم.

---

[١] للأمانة العلمية، ونسبة الفضل لأهله؛ فقد استفدت من مقال للدكتور خالد بن عبد الله بن عبد العزيز القاسم، بعنوان: «عقيدة التثليث: حقيقتها وأدلة بطلانها»، ونقلت فوائد منه إلى هذا المقال.

[٢] أي خلقتُك، فخرجت إلى هذا الدنيا مولودا من بطن أمك بأمر الله، فنسب الله الولادة لنفسه، لأنه هو الذي أمر بها.

[٣] حسَنات أي جميلات.

- فالحاصل أن كلمة (ابن الله) إذا وردت في الأناجيل فإنها لا تعني بُنُوَّة النسب، وإنما يُقصد بها وصف من جاءت هذه الكلمة في حقه بأنه في رعاية الله، وأنه قريب من الله.

أما المعنى الثاني للبُنُوَّة فهو بُنُوَّة النسب التي تحصل بالتناسل، والذي يكون فيه الابن قِطعة من أبيه، فلا شك عند كل ذي لبٍّ وإيمان وبصيرة أن هذا المعنى منتفٍ عن الله سبحانه وتعالى، لأنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه بُنُوَّة نسب قَطْ، لأن الله لَم يلِد ولَم يولد، كما أن الله غني عن العالمين، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، واتخاذ الولد والزوجة لا يكون إلا عن حاجة، والله مُنَزَّهٌ عن أن يخلق الشيء ثم يحتاج إليه.

تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

والمقصود بالبُنُوَّة في الأناجيل هو المعنى الأول، كما تقدم تقرير ذلك.

فصل في تصريح المسيح بأنه إنسان بشر، وهذا قاطع للخلاف وحاسمٌ للمسألة

ومما يوضح معنى كلمة (ابن الله) الواردة في الأناجيل هو تصريح المسيح بأنه من نسل بشري ليس لاهوتيا، فلو أن المسيح ابن الله على الحقيقة لما قال إنه بشر، لأنه سيكون كاذبا، حاشاه من ذلك.

وقد جاء وصفُ المسيح عيسى عليه السلام نفسه بأنه ابن الإنسان في مواضع عديدة في الأناجيل، وقد تقدم ذكر جملة من الأدلة على ذلك، منها:

- ما ورد في إنجيل لوقا في الإصحاح التاسع، عدد ٥٦، القول عن المسيح نفسه:

«لأن ابن **الإنسان** لم يأت ليُهلك أنفس الناس».

فهذا النص صريح في أن المسيح ليس ابن الله وإنما ابن الإنسان، وهو الجنس البشري.

- وفي إنجيل يوحنا (٨-٢٨) قال المسيح:

«قال لهم يسوع: متى رفعتم **ابن الإنسان**، ... **ولست أفعل شيئا من نفسي**».

أليس هذا يدل على أن المسيح بشر؟

لو كان المسيح ربا لما وصف نفسه بالبشرية في قوله (ابن الإنسان)، ولما قال (لست أفعل شيئا من نفسي)، لأن رب الكون يفعل كل شيء، ويدبر أمر الكون كله، ولا يمكن عقلا أن يقول المسيح (لست أفعل شيئا من نفسي) لو كان هو رب الكون.

- وفي إنجيل متى (٣٤/١) قال يسوع عن نفسه للجموع: «جاء **ابن الإنسان** يأكل ويشرب».

- كما قال المسيح لمن يريد قتله: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني. وأنا **إنسان** قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم». يوحنا (٨/ ٤٠).

- بل لما قيل لعيسى عليه السلام (أنت ابن الله) كان خاتمة جوابه أنه ابن **الإنسان**. يوحنا (١/ ٤٩-٥١).

فوصْفُ المسيح – عليه السلام – لنفسه بأنه إنسان دليل واضح وصريح على أنه بشر، فهل من يقول هذا الكلام قد قام في نفسه مجرد ظن أنه هو الله أو ابنه، ونزل يدعو الناس إلى عبادة نفسه؟

- وفي الأناجيل إشارات أخرى لبشرية المسيح، انظر: لوقا (١٧/ ٢٢) (١٨/ ٨)، متى (١٢/ ٣٢).

فالحاصل أن كلمة (الابن) إذا أطلِقت على المسيح فإنها لا تعني أن المسيح هو ابن الله من جهة النسب والتناسل، لا، بل المعنى هو أن الله هو الراعي له والمُرَبِّي.

فصل في معنى كلمة (الأب)

لفظة (الأب) الواردة في مواضع من الإنجيل يجب أن يُردُّ فهمها إلى أيضا لغة المسيح عليه السلام، وبالرجوع إلى إنجيل يوحنا نجد أن كلمة (الأب) تعني الراعي والمُربِّي والقائم على الشيء، ومن المعلوم أن الله هو القائم على هذا الكون كله بما فيهم البشر، فهو أبو الكون بهذا المعنى، فقد جاء عن اليسوع في يوحنا (٢٠/ ١٧): «إني أصعد إلى **أبي وأبيكم**، وإلهي وإلهكم».

وقال اليهود ليسوع: «لنا **أب واحد** وهو الله». (يوحنا ٨/ ٤١).

وقال المسيح لتلاميذه: «وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مِخدَعِك وأغلق بابك، وصَلِّ إلى **أبيك** الذي في الخفاء. **فأبوك** الذي يَرى في الخفاء يجازيك علانية». (متى ٦/٧).

وقال أيضا لتلاميذه: «احتَرِزوا من أن تصنعوا صدقتكم قُدَّام الناس لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند **أبيكم** الذي في السماوات». (متى ٦/١).

وفي سفر أشعيا (٦٤/ ٨) قول أشعيا: «يا رب أنت **أبونا**».

ومثل هذا الكلام المنسوب إلى المسيح وغيره كثير، وكله شاهد على أنه كان يستعمل اسم (الأب) في التعبير عن الله بمعنى المُربِّي، الذي يكلأ عباده المؤمنين ويرعاهم، وليس بمعنى أبوة النسب، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فبناء على ما تقدم فإذا جاء في الإنجيل قول المسيح عن الله أنه (الأب) فإنه يقصد المُربي والقائم على الشيء، ولا يعني أُبُوَّة النسب والتناسل المعروفة، والتي يكون فيها الابن قطعة من أبيه.

خلاصة ما تقدم

كلمة الابن تطلق على معنيين، حقيقي ومعنوي.

المعنى الحقيقي مثل قولك (أنا إيلي، ابن دانيال). يعني أن دانيال **أبوك** الذي أنجبك، وأنت ابنه.

هذا هو المعنى الحقيقي لكلمة (ابن).

والمعنى الثاني (**معنوي**) وهو مثل قولك للطفل الذي يمشي في الحديقة مع أبيه وأمه وتريد أن تلاطفه: يا **ابني** تعال أعطيك حلوى.

وقولك للطفلة الصغيرة التي تمشي مع أمها وأبيها: تعالي يا **ابنتي** أعطيك حلوى.

أو قولك لابن أخيك: يا **ابني** تجنب السهر.

تقول هذه الكلمة له (يا ابني) مع أنه ليس ابنك الحقيقي، ولكنك تشعر انه ابنك بسبب شعورك بالحنان عليه ولأنك تربيه بكلامك، فهو كما لو أنه ابنك فعلا.

وكذلك مثل قول مدير المدرسة للأولاد اللذين في المدارس:

يا **أبنائي** تجنبوا السرعة في القيادة.

وقول مديرة المدرسة للطالبات: يا **بناتي** ساعِدن أمهاتكن.

يقول المدير والمديرة هذا الكلام للطلاب والطالبات مع أنهم ليسوا أبناءهما حقيقة، ولكنهما يشعران بذلك لأنهما المُربِّيان لهم.

ونفس القاعدة تنطبق على كلمة (ابن) المذكورة في الأناجيل، فهي تعني بُنُـوَّةُ التربية والعناية والمحبة، ومن ذلك تسمية من يتَّبِع تعاليم المسيح أنهم أبناء الله، فهي ليست البُنُـوَّة الحقيقية المعروفة التي هي بُنُوَّة التناسل، لأن الله لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وإنما المقصود هو المعنى الثاني.

- والعكس صحيح أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة، فلو قلتَ لرجل كبير رأيته في الشارع، أو لصديق والدك أو لعمك أو لخالك: يا **أبي، أو: يا والدي**، هل تريد مني مساعدة؟

فمقصودك بالأبُوَّة هنا في قولك (يا أبي أو يا والدي) هو التعبير عن الاحترام والتقدير، وليس الأبوة الحقيقية التي هي بمعنى أنك من ذريته ونَسلِه.

وكذلك لو قلت لامرأة كبيرة تحمل أغراضا معها أو لصديقة أمك أو لعمتك أو لخالتك: يا **أمي**، هل تريدين مني مساعدة؟

فالمقصود بالأمومة هنا في قولك (يا أمي أو يا والدتي) هو التعبير عن الاحترام والتقدير، وليس الأمومة الحقيقية التي هي بمعنى أنك من ذريتها ونَسلِها.

فصل في معنى كلمة الرب إذا أُطلِقت على المسيح نفسه

تفسير (ربي) إذا قيلت للمسيح في الأناجيل أي (يا معلم) كما جاء واضحا في إنجيل يوحنا (١/ ٣٨):

«فالتفت يسوع ونظرهما يتْبَعان، فقال لهما: ماذا تطلبان؟ فقالا: **ربي الذي تفسيره (يا مُعَلِّم)**. أين تمكث».

٧. الملحق السابع والأخير: همسات إيمانية من القلب إلى القلب

هذه همسات إيمانية، من القلب إلى القلب، سيُزيل فهمُها عقباتٍ ويَحُلُّ إشكالاتٍ بين أتباع الديانة المسيحية وبين اقتناعهم بدين الإسلام، أسأل الله أن ينفع بهذه الهمسات.

• الهمسة الأولى

أرسل الله محمدا بدين الإسلام **للناس كلهم**، الجن والإنس، العرب والعجم، الأبيض والأسود، بني إسرائيل وغيرهم، قال الله في القرآن ﴿وأرسلناك للناس **كافة**﴾، وقال ﴿وما أرسلناك إلا رحمة **للعالمين**﴾، وقال ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم **جميعا**﴾.

ودين الإسلام حلَّ محل جميع الأديان قبله، وليس ثَمَّةَ دينٌ بعده، وقد فرض الله على جميع الإنس والجن الدخول فيه، فهو الدين الخاتمي المحفوظ من التحريف والتغيير.

ومحمدٌ هو النبي الخاتمي، فمن آمن بمحمد فقد آمن بجميع الأنبياء قبله، قال الله تعالى عن نبيه محمد ﴿ولكن رسول الله **وخاتم** النبيين﴾.

والقرآن هو الكتاب الخاتمي، فمن آمن بالقرآن فقد آمن بجميع الكتب السماوية قبله، وهو كتاب الله المحفوظ غضا طريا كما هو منذ أربعة عشر قرنا، لم تتعرض له يد التحريف والتغيير كما حصل للكتب قبله، ولم يتعرض للضياع، ونسخته الأصلية محفوظة كما هي منذ أربعة عشر قرنا، وجميع نسخ القرآن في العالم تطبع على تلك النسخة.

كذلك فإن القرآن محفوظ في صدور الرجال والنساء منذ أربعة عشر قرنا، فملايين البشر تحفظه كاملا أو جزءا منه، وقد تعهد الله بحفظه إلى نهاية الدنيا، قال الله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذِّكْر وإنا له **لحافظون**﴾، والذِّكْرُ هو القرآن.

• الهمسة الثانية

إن الدين الذي يسير عليه المسيحيون الآن **ليس مطابقا للدين** الذي جاء به نبي الله عيسى ابن مريم، بل هو مختلف عنه غاية الاختلاف، فعيسى ابن مريم لم يقل للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، ولم يقل للناس إنه ابن الله، ولم يقل إنه ثالث ثلاثة، وحاشاه أن يقول ذلك، وقد تقدم إثبات ذلك في أول هذا البحث المبارك إن شاء الله.[1]

إضافة إلى ذلك فإنه يستطيع أحد أن يقول إن الأناجيل التي بأيدي المسيحيين الآن تطابق الإنجيل الذي كان بيد عيسى، ولا حتى واحد منها، وقد تقدم إثبات ذلك بما فيه الكفاية لمن تجرد لاتباع الحق.

فكيف يصح للعاقل – والحالة هذه – أن يستقي عقيدته من كتب محرفة للوصول إلى أغلى شيء يسعى كل عاقل لكسبه في هذه الحياة وهو رضا الله ومن ثَمَّ دخول الجنة؟!

فلنطرح الأناجيل التي بأيدينا جانبا، فقد أبدلنا الله بكتاب آخر، **وحَـفِظه** من التغيير والتبديل والتحريف، فلنُقبِل عليه ونـتَّـبِعه لنحصل على المغفرة والهدى، ولِنصل إلى الدين الحقيقي الصحيح الذي ليس فيه لبس ولا غموض ولا تناقض، الدين الذي يعطي التصور الصحيح عن الأنبياء عيسى وموسى ومحمد وغيرهم، قال تعالى في القرآن ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾.

وللعلم فقد يسر الله إثبات أن الدين الذي يسير عليه المسيحيون الآن مختلف اختلافا جذريا عن الدين الحق الذي جاء به عيسى ابن مريم، وذلك في كتاب مختصر لي بعنوان:

«التغير التدريجي في رسالة المسيح عيسى ابن مريم الصحيحة على مدى ٢٠ قرنا»[2]

أقول: ولو أن المسيح بين أظهرنا الآن لأنكر ما يقوله فيه النصارى (المسيحيون) أشد الإنكار، كما أخبر الله تعالى في القرآن الكريم أنه سيسأله يوم القيامة ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال **سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق** إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * **ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم** وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾.

---

[1] للفائدة، فقد يسر الله إعداد ثلاثة كتب في حقيقة المسيح عيسى ابن مريم في تعاليم الإسلام، الأول بعنوان:

Eleven Facts about Jesus in the Biblical & Islamic Teachings

والكتاب الثاني بعنوان: «قصة وفضائل مريم العذراء وابنها المسيح عيسى ابن مريم في دين الإسلام».
والكتاب الثالث بعنوان: «قصة المسيح من المهد إلى اللحد».
وكلها منشورة في شبكة المعلومات بنفس العناوين المذكورة في موقع:

www.saaid.net/The-clear-religion

[2] هذا الكتاب منشور في شبكة المعلومات بنفس العنوان.

• الهمسة الثالثة

الذي يستحق العبادة هو الله وحده، ولا يستحقها أحد غيره، أما عيسى ابن مريم (اليسوع) فلا يستحق هو ولا غيره من المخلوقين أن نتوجه لهم بأي نوع من أنواع العبادات، لأنهم بشر مثلنا، وإشراك غير الله مع الله في العبادة من أعظم الذنوب، ومن الأمور التي لا يرضاها الأنبياء أنفسهم، لا اليسوع ولا محمد ولا موسى ولا أي نبي، ولا رب العالمين وهو الله سبحانه وتعالى.

والأنبياء أنفسهم كانوا يعبدون الله ويأمرون أقوامهم بعبادة الله، وينهونهم عن عبادة غير الله مع الله، ويبينون لهم أن هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله في الآخرة، ومن موجبات دخول النار عياذا بالله والخلود فيها أبد الآباد.

وعبادة الله وحده وترك عبادة من سواه هي محور دعوة الأنبياء كلهم، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم المحفوظ من التحريف والتبديل ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾.

كما أن إفراد الله بالعبادة هو المبدأ الموافق للعقل، لأن الله هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون، فهو المستحق وحده لأن يُعبد، وأما عيسى فبشر مخلوق، محتاج لغيره، فكيف يصح بالعقل مساواة البشر برب البشر بأن يُعبدان على حَدٍّ سواء؟!

وقد كانت دعوة المسيح لبني إسرائيل على إفراد الله وحده بالعبادة وترك عبادة من سواه، كائنا من كان، قال الله في القرآن مبينا حقيقة دعوة المسيح:

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ **اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1].

وقال الله عن المسيح أنه قال لقومه ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن **اعبدوا الله ربي وربكم**﴾[2].

وقال الله عن المسيح أنه قال لقومه ﴿إن **الله ربي وربكم** فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[3].

وقال الله عن المسيح أنه قال لقومه ﴿إن **الله هو ربي وربكم** فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[4].

---

[1] سورة المائدة: ٧٢.

[2] سورة المائدة: ١١٧.

[3] سورة آل عمران: ٥١.

[4] سورة الزخرف: ٦٤.

• الهمسة الرابعة

لِـنقرأ سويا هذا التوجيه الرباني الذي أنزله الله منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ليبين للناس حقيقة رسالة محمد (صلى الله عليه وسَلَّم):

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ **قَدْ جَاءَكُمُ** الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ **فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ** وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيما﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ **قَدْ جَاءَكُم** بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينا﴾.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ **قَدْ جَاءَكُمُ** الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾.

أيها القارئ الكريم، أيتها القارئة الكريمة: لا نُغالط أنفسنا، ولنترك تقليد الآباء والأجداد جانبا، فالمسألة يترتب عليها خلود في الجنة إلى الأبد، أو **خلود في النار إلى الأبد**.

نعم، لنعود إلى أنفسنا وإلى ربنا، ونستجيب لأمره **قبل فوات الأوان**، فإنه ليس عند الإنسان فرصة للإيمان بمحمد والدخول في دين الإسلام والحصول على غنيمة الخلاص الأبدي الحقيقي **إلا هذه الدنيا**، فها هي قد تهيأت، **ولا زالت الروح في الجسد لم تغادرها**، فمن اغتنم هذه الفرصة فليبشر بالخير، ومن ضيَّعها فليَعرض نفسه على هذه الآية ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

• الهمسة الخامسة

استمع أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة إلى هذا النداء الرباني:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً للذين آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً للذين آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

تفسير الآيات:

قال الله لنبيه محمد (صلى الله عليه وسَلَّم):

لتجدنَّ أيها الرسول أشدَّ الناس عداوة للذين صدَّقوك وآمنوا بك واتبعوك، اليهودَ؛ لِعنادهم وجحودهم، وتكبرهم على اتباع الحق، وكذلك الذين أشركوا مع الله غيره في العبادة، كَـعَـبَـدَة الأوثان وغيرهم.

ثم قال: وَلَـتَـجِـدَنَّ أقربهم مودة للمسلمين الذين قالوا إنا نصارى، وهم المعروفون بالمسيحيين، ذلك بأن منهم علماء وعبَّادًا، وأنهم متواضعون لا يستكبرون عن قَبول الحق، وهؤلاء هم الذين قبلوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وآمنوا بها، فدخلوا في الإسلام.

ومما يدل على قرب مودتهم للمسلمين أن فريقًا منهم فاضت أعينهم من الدمع لما سمعوا القرآن، فأيقنوا أنه حقٌّ منزل من عند الله تعالى، وصدَّقوا بالله واتبعوا رسوله، فدخلوا في الإسلام، وتضرعوا إلى الله أن يكونوا من الشاهدين، أي يشهدون لله بالتوحيد، ولرسله بالرسالة، ويشهدون على الأمم السابقة بالتصديق والتكذيب.

وقالوا أيضا: وأيُّ لوم علينا في إيماننا بالله، وتصديقنا بالحق الذي جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله، واتباعنا له، ودخولنا في دينه، فالمسيح دعا قومه للإيمان بمحمد إذا أرسله الله إلى الناس، ورسالته متممة لرسالة المسيح، فأيُّ لومٍ علينا في اتباعه، إذ باتباعه والدخول في الإسلام يحصل لنا شرف طاعة النبيين عيسى ومحمد، ودخول الجنة، أما إذا لم نتبعه وندخل في دينه فقد عصينا النبيين، عيسى ومحمد، وعرضنا أنفسنا لغضب الرب سبحانه وتعالى، واستحقينا دخول النار.

فجزاهم الله بما قالوا من الاعتزاز بدخولهم في دين الإسلام، وطلبِهم أن يكونوا مع القوم الصالحين، جزاهم بذلك جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار، ماكثين فيها لا يخرجون منها، ولا يُحَوَّلون عنها، وذلك لإحسانهم في القول والعمل.

• الهمسة السادسة

ليس أمام الإنسان العاقل إلا اعتناق دين الإسلام الذي أمر عيسى ابن مريم أتْـبَـاعه باتِّـباعه، فإن قبلتَ أيها القارئ هذا فليس بينك وبين الدخول في دين الإسلام إلا أن تنطق بشهادة الإسلام التي هي الركن الأول من أركان الإسلام ومفتاح الدخول إليه:

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله،

وأشهد أن المسيح عيسى ابن مريم عبده ورسوله

وهذه هي الكلمة السَّواء التي أمر الله بها جميع الناس، فقد أمر الله نبيه محمدا (صلى الله عليه وسلم) أن يأمر أهل الكتاب (وهم اليهود والنصارى) ويقول لهم:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

ومعنى الآية: قل أيها الرسول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى (المسيحيين): تعالَوْا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم، وهي كلمة عدل وحق نلتزم بها جميعًا: وهي أن نَخُص الله وحده بالعبادة، ولا نتخذ أي شريك معه، من وثن أو صنم أو صليب أو بشرٍ أو غير ذلك، ولا يعبد بعضنا بعضا، فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الطيبة فقولوا لهم أيها المؤمنون: اشهدوا علينا بأنا مسلمون، منقادون لربنا بالعبودية والإخلاص.

والدعوة إلى كلمة السَّواء هذه تُوجَّه إلى اليهود والنصارى، وتوجَّه أيضا لغيرهم من أتباع الأديان.

***

فبناء على ما تقدم فإن الواجب على كل من سمع بدين الإسلام أن يدخل فيه، وإلا كان كافرا بما أنزل الله على خاتم رسله، وعرَّض نفسه لعقوبة عظيمة وهي دخول النار والخلود فيها، قال الله تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

وقال الله تعالى ﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا * خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا * يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾.

وقال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني[1] ثم لم يؤمن بما جئتُ به[2] إلا كان من أهل النار.

---

[1] نصراني أي مسيحي.

[2] أي شريعة الإسلام.

فالواجب على من أراد لنفسه السلامة يوم القيامة من دخول النار والدخول إلى الجنة أن يسارع إلى الإيمان بالنبي محمد، وينقاد لشريعة الإسلام، قبل أن تبلغ الروح الحلقوم، ويموت على عدم الإيمان بما أمره الله بالإيمان به، فيموت كافرا، فيدخل النار، ويمكث فيها أبد الآباد، ثم يندم حين لا ينفع الندم.

خاتمة

تم الكتاب بحمد الله، وقد تم فيه إثبات أمران؛

الأول: بطلان مقولة إن يسوع المسيح هو الرب وابن الرب

الثاني: إثبات مقولة إن يسوع المسيح

بشرٌ رسولٌ من عند ربه وخالقه (الله)،

وأنه ليس ربا، ولا ابنَ الربِّ

ولا إلٰها، ولا ابنَ الإلٰه

كل هذا بدلالة العهد القديم، والجديد، والمنطق، والتاريخ، والقرآن الكريم

وفي الختام، ندعو الله فنقول: اللهم اجعلنا مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وصلى الله على أنبياءه محمد وعيسى وموسى، وسائر أنبيائه، وسلَّم تسليمًا كثيرا.

اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد

تم الكتاب بحمد الله، نفع الله به قارئه وكاتبه وناشره، والحمد لله رب العالمين

المؤلف: ماجد بن سليمان، majed.alrassi@gmail.com

00966505906761

صبح الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني لعام ١٤٣٩ هجري

الموافق ١٠ يناير لعام ٢٠١٨ ميلادي

توضيح مصطلحات عامة في الكتاب

- (**صلى الله عليه وسلَّم**): معنى الصلاة على النبي محمد هو ثناء الله عليه في الملإ الأعلى وهم الملائكة، وهذا فيه زيادة تشريف وثناء عليه، وهو يستحق ذلك، لأن الله هدى الناس به إلى الدين الصحيح.

ومعنى (وسلَّم) هذا دعاء أيضا أن يُسَلِّمه الله من الآفات، مثل الطعن فيه أو في زوجاته ونحو ذلك.

فيكون المعنى الإجمالي لجملة (صلى الله عليه وسلم) أي: اللهم اثنِ على نبيك محمد عند ملائكتك، وسَلِّمه من الآفات.

وهذه الجملة جملة توقير واحترام، ويجب على المسلم أن يقولها كلما مر بذكر النبي محمد، فلا يليق بالمسلم أن يمر عليه اسم النبي محمد فلا يدعو له، وكأنه يتكلم عن إنسان عادي.

كما يستحب قول (عليه السلام) عند ذكر باقي الأنبياء، تشريفا لهم وتكريما.

- (**عليه السلام**): معنى (عليه السلام) إذا ذُكِر أحد الأنبياء هو دعاؤنا الله تعالى بأن يسلم نبيه من كل مكروه.

- (**الفَريسيُّون**): الفريسيون هم طائفة من غلاة اليهود المتعصبين والمتشددين بالمظاهر الخارجية للورع والتدين، ومنها التقيد بحرفية الشريعة أو الناموس مثل الامتناع عن أداء أي عمل يوم السبت، أو مخالطة غير اليهود، إذ يُعتبرون نجِسين، وقد آذوا المسيح عليه السلام. نقلا من «تاريخ النصرانية، مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، ص ٥٩، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع، ط ١.

- (**النصارى**): النصارى هم المعروفون الآن بالمسيحيين، وهم أتباع عيسى ابن مريم، ووجه تسميتهم بهذه التسمية «نصارى» هو تناصرهم فيما بينهم.

وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك تبعا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿من أنصاري إلى الله قال الـحواريون نحن أنصار الله﴾.

وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها «ناصرة» بفلسطين، وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك لأن عيسى خرج منها.

وعلى كل حال فكلمة «نصارى» أصلها من النصرة، وهي صفة مدح وثناء.

- (**الـمُوَحِّـد**): هو الرجل الذي يعتقد أن الله واحدٌ في ذاته، وأنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، وضده الـمُشرك، يعبد مع الله غيره.

- (**الـمُنصِّرون**): الـمُنصِّرون أي الـمُبشِّرون، سُمُّوا بذلك لأنهم يدعون الناس إلى الدخول في «النصرانية»، المعروفة بـ «المسيحية».

مراجع علمية لمن أراد الاستزادة والفائدة – وهي منشورة في موقع:
«الدين الواضح»

www.saaid.net/The-clear-religion

١. الكتاب المقدس – القرآن

٢. تعريف موجز بالكتاب المقدس – القرآن

٣. لماذا خلقنا الله؟

٤. قصة أبينا آدم في القرآن

٥. المكانة العظيمة لمريم العذراء وابنها النبي العظيم المسيح عيسى ابن مريم في دين الإسلام

٦. قصة المسيح من المهد إلى اللحد

٧. قصة رفع النبي العظيم المسيح عيسى ابن مريم إلى السماء وتَـنجِـيته من الأذى

٨. التغييرات والتطورات التدريجية التي حدثت لرسالة يسوع بعد رفعه على مدى عدة قرون

٩. الدلائل على تحريف دين اليسوع بعد رفعه إلى السماء

١٠. أربعون دليلا على بطلان عقيدة «توارث الخطيئة» وعقيدة «صلب المسيح»

١١. أين التوراة والإنجيل الأصلِـيَّـيْـن؟

١٢. مهلا أيتها الدكتورة .... لا تسبي الإسلام

١٣. حوار علمي هادئ مع القساوسة

١٤. موقف الإسلام من الإرهاب

١٥. Who Deserves to be Worshipped?

١٦. Eleven facts about Jesus

١٧. The Amazing Prophecies of Muhammad in the Bible

***